حقوق الطبع محفوظة للهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض
المملكة العربية السعودية ـ الطبعة الثانيـة ـ ١٤١٩هـ

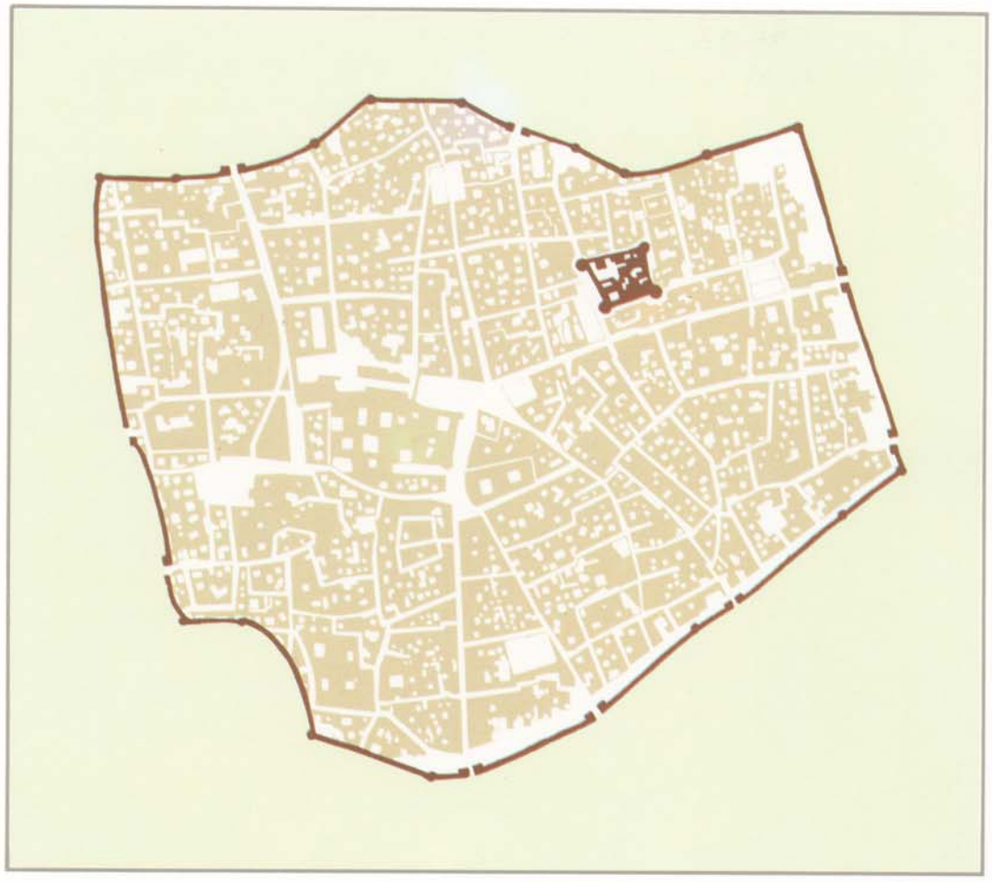

تمهيد

تتميز مدن العالم بما تمثله من رموز دينية أو وطنية أو تاريخية في حياة الأمم والشعوب ، من خلال ما تحتضنه من معالم تراثية لها اشعاعها في الوجدان الاجتماعي العام . وتأخذ المدينة ـ أية مدينة ـ حجمها المعنوي الحقيقي ، من وقائع الأحداث التي تزخر بها حياتها اليومية ، مستمدة من عبق تاريخها ما يجود به على جنباتها . . وهذا التاريخ إما أن يكون سيرة رجال جاهدوا وناضلوا فأسهموا بهذا الجهاد والنضال في تشكيل حياة تلك المدينة ، أو أن يكون ماثلًا في صورة معلم من المعالم المادية التي تبقى ، على مر الأجيال ، شاهدة للتاريخ على التاريخ ، كما هو الحال بالنسبة " للمصمك " في مدينة الرياض .

" المصمك ".. ذلك الصرح الذي توقف التاريخ عند عتبة بابه، عندما انطلق الملك عبدالعزيز، رحمه الله، لأستعادة الرياض (١٣١٩هـ). فكان هذا إشارة الفتح وبشارة النصر وإيذاناً بميلاد عصر جديد، وكيان جديد، ودولة جديدة، شاء الله أن يكون لها شأنها في عالم اليوم.

ولما كان " المصمك " هو الأثر المادي الباقي الذي يجسد هذه الأحداث، ويمثل هذه المعاني والرموز، فقد وجب الحفاظ عليه، والعناية به، ليبقى معلماً بارزاً في قلب الرياض، يروي للأجيال الطالعة فصول الملحمة البطولية التي صنعها الملك عبدالعزيز، رحمه الله، وشاهداً حياً على تاريخ زاخر بالمتغيرات الاجتماعية والحضارية والاقتصادية والعمرانية التي شهدتها مدينة الرياض ـ في سباق النهضة المباركة التي عمت سائر أرجاء المملكة ـ حتى غدت هذه المدينة من الحواضر والعواصم المتطورة، الكبرى، في عالم اليوم. إضافة إلى ما يمثله" المصمك " من تجسيد حي لفن العمارة التراثي الأصيل، المتميز للمنطقة حيث تمثلت فيه كل الخصائص المتوفرة في الطراز المعماري السائد في نجد وفن استخدام الحيز المكاني وأساليب البناء. بل أن كل قطعة أو عنصر في المصمك يمكن اعتباره تراثاً معمارياً ونموذجاً للعمارة المحلية، وتعبّر هذه القطع والعناصر مجتمعة عن روعة العمارة حين تنبع من بيئتها الخالصة منسجمة مع العناصر المحيطة بها، محققة أقصى قدر من الملاءمة والتوفيق مع متطلبات سكان المنطقة.

لقد مر" المصمك "بمراحل عديدة، تعاقبت عليه، وتفاوت تأثيرها به، منذ انشائه وحتى اليوم، حيث يجري تطويره وتنشيطه ليأخذ شكله وحجمه الملائمين في موقعه القريب من قلب المدينة، ملاصقاً لقصر حكمها وجامعها الكبير وسوقها العامرة.

وهذا السجل، ان هو إلا توثيق لتاريخ " المصمك " وواقعه الراهن، والأحداث والمتغيرات التي طرأت وتعاقبت عليه، ليكون في متناول الباحثين والدارسين، مصدراً من مصادر التأريخ لمعلم بارز من معالم الرياض وعمارتها التراثية العريقة.

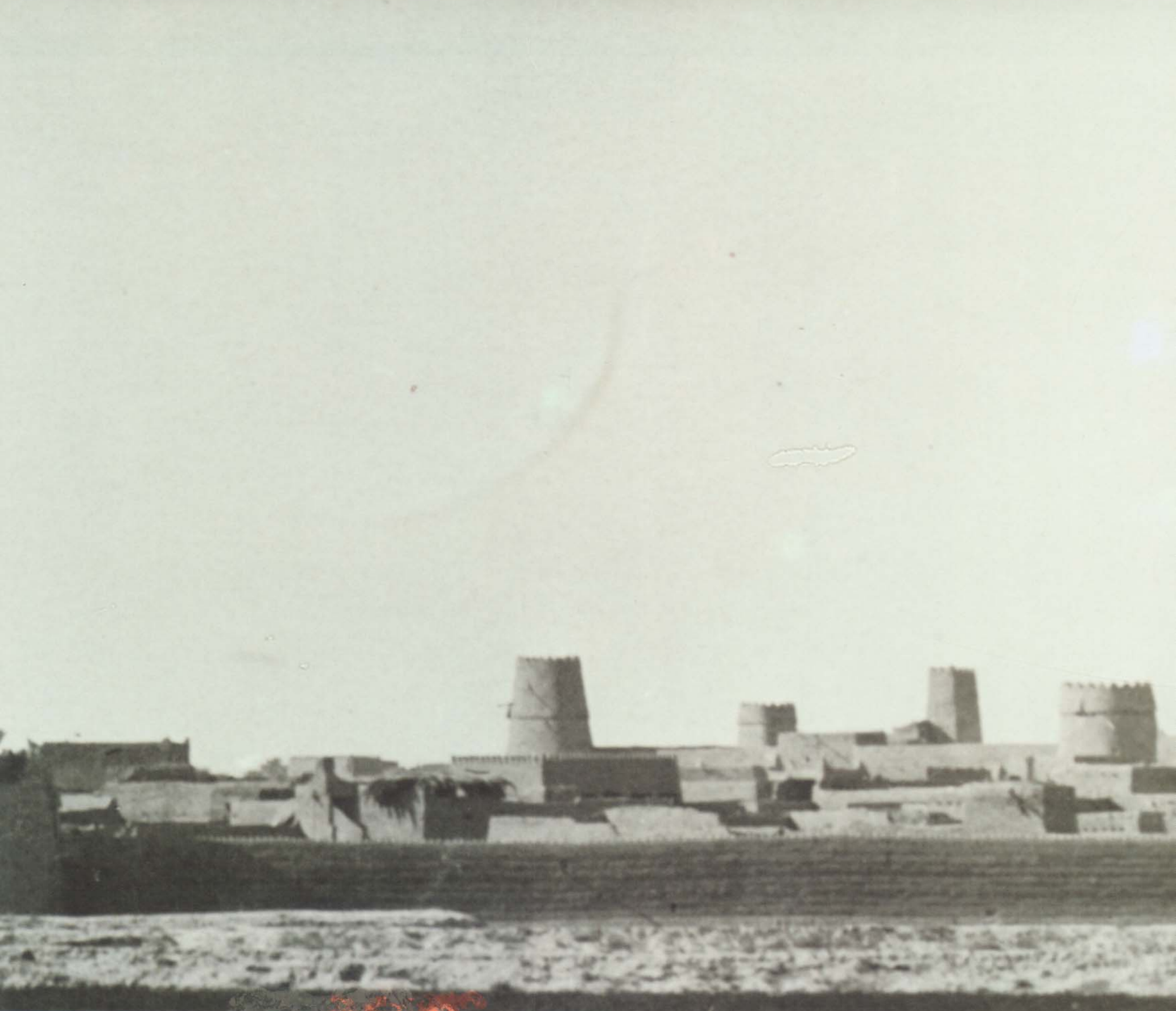

الصمك عبر
التاريخ

المصمك حصن محكم مربع الشكل ذو بروج وجدر سميكة، يتوسط قلب مدينة الرياض. وقد مر بمراحل عديدة تعاقبت عليه وتفاوت تأثيرها به، منذ انشائه وحتى اليوم.

ويحتل " المصمك " مكانة بارزة في تاريخ مدينة الرياض خاصة والمملكة العربية السعودية بعامة ، كمعلم تاريخي مادي مهم يمثل الزمان الذي بنى فيه والأحداث التي جرى تيارها حوله ، حيث اقترن هذا الحصن بملحمة فتح الرياض البطولية التي تحققت على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ، رحمه الله ، في فجر الخامس من شوال عام ١٣١٩هـ (١٩٠٢م) ومنها واصل مسيرته لتوحيد الجزيرة وبناء المملكة العربية السعودية .

كان " المصمك " هو الهدف الأول الذي اتجه إليه الملك عبدالعزيز باعتباره الحصن الحصين الذي لابد من اقتحامه والعبور منه للوصول إلى مدينة الرياض ، والسيطرة عليها ، كخطوة أولى على طريق التوحيد وبناء الكيان الكبير .

وقد أطلق المؤرخون أسماء عديدة على هذا المعلم التاريخي منها : الحصن ، والقلعة ، والحصن الداخلي ، والمسمك والمصمك . لكن الاسم الأخير هو الشائع المتداول . وهناك اجتهادات كثيرة حول سبب هذه التسمية ، لكن أكثرها يرى أن " المسمك " من " السماكة " وهي البناء المرتفع الحصين . وقد ورد هذا المعنى في قول الشاعر الأموي الفرزدق :

ان الذي سمك السماء بنى لنا

بيتاً دعائمه أعز وأطول

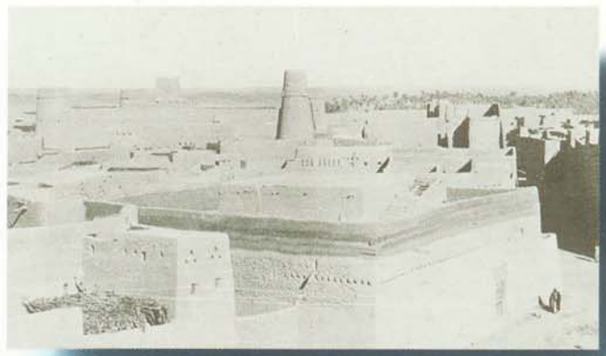

بناء المصمك

تعددت الروايات وتباينت حول بناء " المصمك " تاريخاً ورجالاً ، والمراحل التي تعاقبت عليه ، منذ انشائه وحتى وقتنا الحاضر ، وقد تركز الاختلاف بين المؤرخين ، حول مسألتين اثنتين هما : تاريخ بناء " المصمك " ، والشخصية التي بني في عهدها .

يذهب نفر من المؤرخين إلى أن " المصمك " بني في عهد الامام عبدالله ابن فيصل آل سعود (تولى الحكم على فترتين الأولى بين ١٢٨٢هـ-١٢٨٨هـ والثانية بين ١٢٩٣ ـ ١٣٠٥هـ) ، بينما يرى فريق آخر من المؤرخين أن " المصمك " بني في عهد محمد بن عبدالله بن رشيد (١٢٨٩هـ ـ ١٣١٥هـ) .

ويسوق كل فريق من هؤلاء ما يدعم وجهة نظره من أقوال وروايات المؤرخين . لكن من خلال الاستقراء المتأني والفحص الدقيق لجميع النصوص والروايات المتواترة حول الموضوع ، يتبين أن باني " المصمك " هو ابن ضبعان قائد حامية الرياض في عهد ابن رشيد ، وقد أوكل بناءه إلى شخص يدعى عبدالعزيز بن متعب بن نعام .

ويستند الفريق الذي يتبنى وجهة النظر القائلة بأن " المصمك " بني في عهد محمد بن عبدالله بن رشيد ، إلى كثير من الروايات والنصوص منها ما جاء في كتاب " تاريخ نجد وملحقاته " حيث يقول " . . وكان في الرياض قلعتان الواحدة ضمن الأخرى ، شيدهما ابن الرشيد وأقام فيهما تسعين من رجاله يرأسهم أمير اسمه عجلان ، وسمي المصمك باسم الحصن الداخلي وسور الرياض الحصن الخارجي " .

كذلك ما ورد في كتاب " البلاد العربية السعودية " على لسان الملك عبدالعزيز قوله " والمحل الذي يقيم فيه الأمير المنصوب من قبله ـ يعني ابن رشيد ـ يقع في قصر للامام عبدالله هدمه ابن الرشيد وأبقى ـ يعني بنى ـ فيه القلعة المسماة بالمسمك " .

وهذان المرجعان هما أقدم كتابين كتبا عن المملكة ألفهما مؤرخان ملتصقان بالملك عبدالعزيز وقد أشتهر هذان الكتابان في حياة الملك عبدالعزيز وحياة كل المهتمين بتاريخه ، ولو كان هناك أدنى شك في صحة ما ورد فيهما حول حصن المصمك وهوية بانيه لتطوع أكثر من واحد للرد والتصويب .

وتتكرر هذه الرواية بالصيغة ذاتها وأحياناً بقليل من الاختلاف الذي لا يمس جوهر المضمون في كثير من الكتب التي ظهرت فيما بعد ، مثل كتاب " تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان " وكتاب " معجزة فوق الرمال " الذي اطلع الملك فيصل بن عبدالعزيز عليه قبل طباعته وكتاب " صقر الجزيرة " وكتاب " أحسن القصص " وغيرها كثير .

يضاف إلى ذلك أنه خلال القيام بالأعمال المساحية للمصمك ، من قبل الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض ، عثر في الدور الأول للبرج الشمالي الشرقي الذي لم يشمله الترميم سنة ١٤٠٠هـ على نقش يقول " ٢ شعبان ١٣١٢هـ " وبالتدقيق فيه وجد أنه كتب قبل جفاف الطين مما قد يعني أنه بني في ذلك الوقت من قيام ابن رشيد على الرياض . لكن هذا النقش ما يزال بحاجة إلى تحقيق معملي من قبل خبراء اخصائيين .

أما الرأي القائل بأن الامام عبدالله بن فيصل هو باني " المصمك " فهو يستند إلى ما جاء في كتاب " عقد الدرر " حيث يقول : " أن الامام عبدالله بن فيصل بنى قصراً في الرياض " ، وقد علق محقق الكتاب على هذا النص بقوله " ان هذا القصر هو قصر المصمك " دون أن يدعم ذلك بسند أو حجة .

ويبدو أن المؤرخين المحدثين القائلين بهذا الرأي قد اعتمدوا في مقولتهم على هذا التعليق الذي أورده محقق " عقد الدرر " في حاشية الكتاب .

وللوقوف على الحقيقة التاريخية التي تؤكدها مجموعة الروايات سواء المدونة منها أو تلك التي نقلت على ألسنة بعض المؤرخين المعاصرين ، يمكن الرجوع إلى الهوامش المثبتة في نهاية الكتاب .

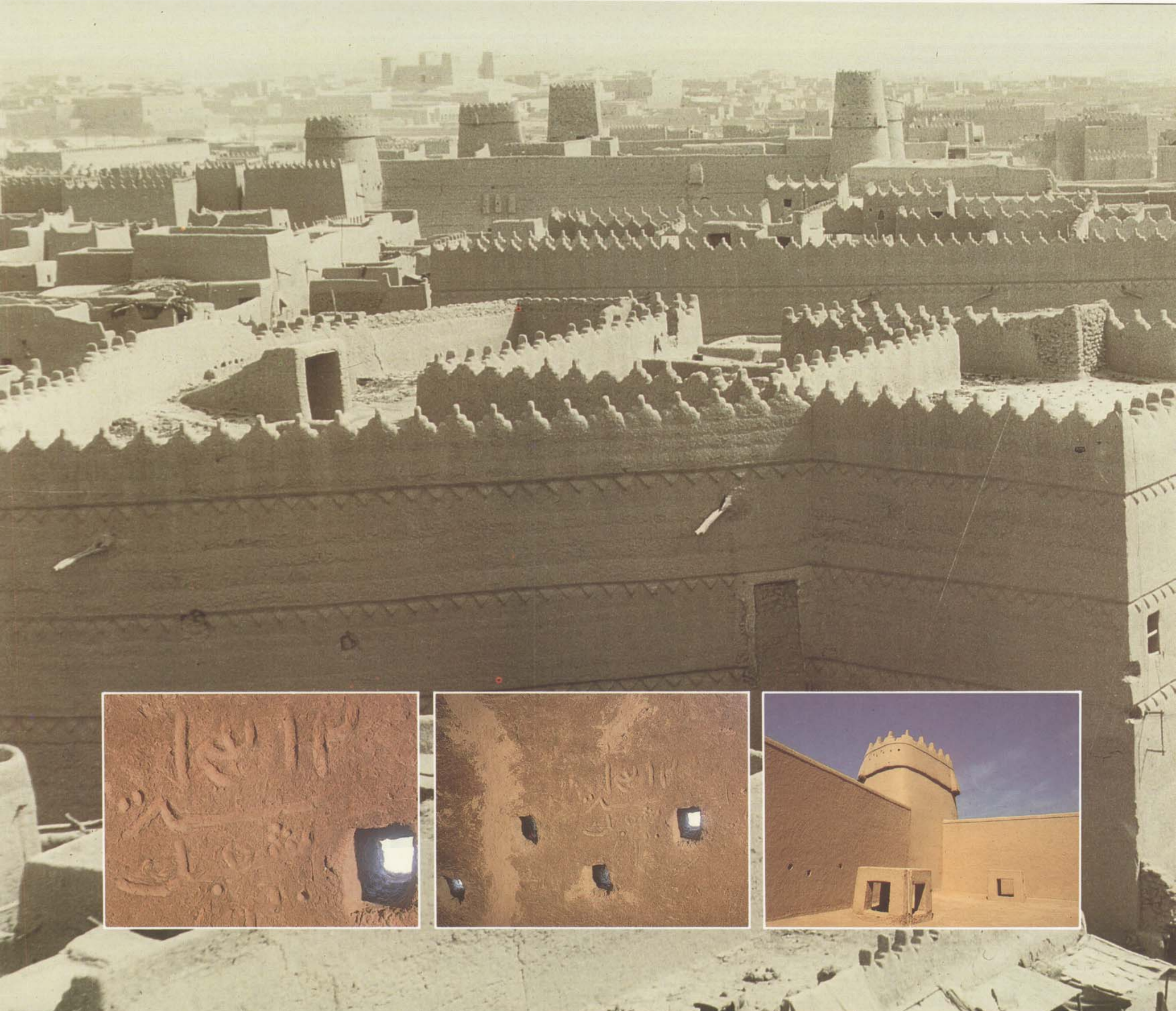

استخدام المصمك

بني " المصمك " كمقر لحامية ابن رشيد في الرياض سنة ١٣١٢هـ تقريباً ، وبقى يؤدي دوره هذا كحصن تدار فيه شئون الرياض إلى أن تم اقتحامه والاستيلاء عليه من قبل الملك عبدالعزيز، رحمه الله، عند فتح الرياض في صباح الخامس من شهر شوال لسنة ١٣١٩هـ، حيث استخدم كمستودع للذخيرة والأسلحة لمدة سنتين ثم أصبح سجناً بعد ذلك. وبقي المصمك يستخدم لهذا الغرض إلى أن تحول إلى أثر تاريخي ومعلم تراثي يتوسط قلب مدينة الرياض.

لقد أعاد الملك عبدالعزيز بناء قصر آل سعود القديم في الصفاة حوالي سنة ١٣٣٠هـ أو بعد ذلك بقليل، حيث استخدمه كسكن ومقر للحكم إلى أن انتقل للسكن في مجمع المربع، وليس هناك من الأقوال أو الروايات ما يؤكد استخدام الملك عبدالعزيز " للمصمك " كسكن أو مقر للحكم.

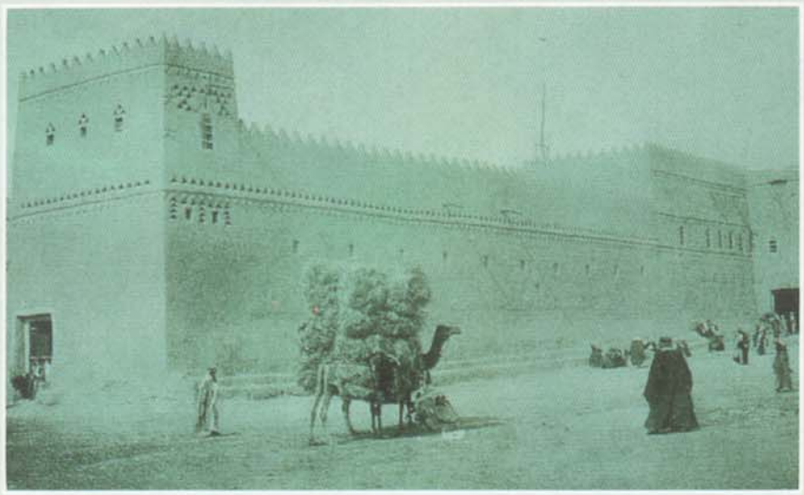

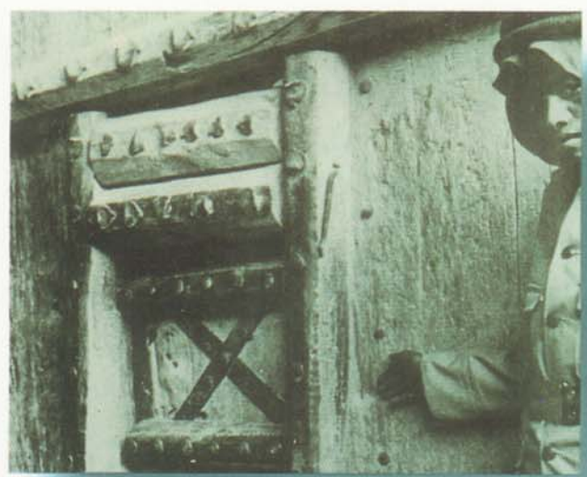

المصمك

المصمك / قبل الترميم

ضمن خطة احياء دور وسط المدينة "منطقة قصر الحكم" واستمرار دوره الأساسي كمركز سياسي وإداري وثقافي وتجاري لمدينة الرياض، عملت دراسة لتطوير المنطقة لتتمشى مع التطور السريع للمدينة، إضافة إلى عمل دراسة خاصة بترميم المصمك وتحويله إلى متحف ومعلم تاريخي ليتمشى مع الاستخدام العام للمنطقة. وقد بدئ في الترميم عام ١٤٠٠هـ باشراف أمانة مدينة الرياض والادارة العامة للآثار والمتاحف، وانتهى العمل في عام ١٤٠٢هـ.

وتقوم الادارة العامة للآثار والمتاحف، بالتنسيق مع الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض بتنفيذ مشروع لتجهيز المصمك كمتحف لتاريخ تأسيس المملكة العربية السعودية على يد المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود.

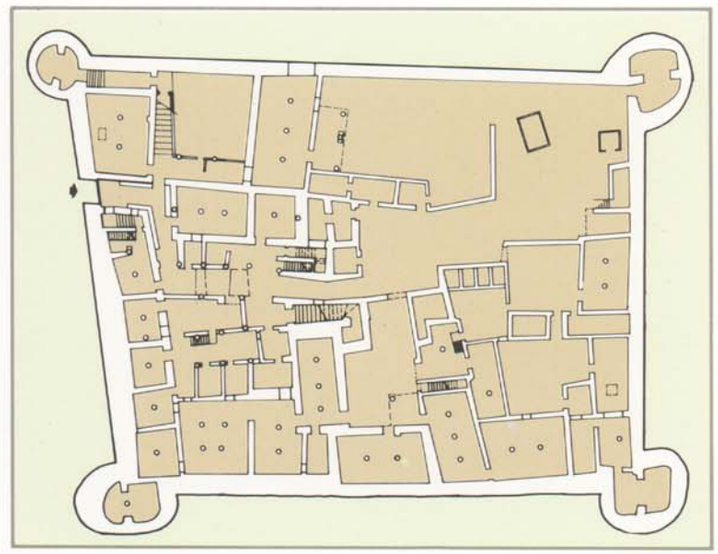

ومن خلال المخطط والصور المتوفرة لدى الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض للمصمك قبل الترميم، والتي تبين الوضع السابق للمصمك قبل الترميم مباشرة، إضافة إلى المعلومات التي تم الاطلاع عليها أو الحصول عليها من بعض الأشخاص الذين عايشوا بعض مراحل استخدام المصمك والتي من خلالها مجتمعة سنلقي الضوء على الوضع السابق للمصمك، ومنها يمكن عقد مقارنة بين ما كان وما هو موجود الآن.

يبين المخطط والصور المرافقة أن المدخل والتوزيع المتبع مخالف لما هو موجود حالياً، وأن الجهة الشرقية متهدمة بالكامل، إضافة إلى وجود غرفة واحدة في الجهة الغربية الجنوبية قرب البرج الجنوبي الغربي بالدور العلوي.

كما تم إزالة بعض العناصر الرئيسية بالمصمك مثل "الحمامات" مع تعديل بعضها الآخر، وإضافة عناصر حديثة مغايرة لعصره، مثل الزخارف الموجودة حالياً في المجلس العلوي" الروشن " مثلاً.

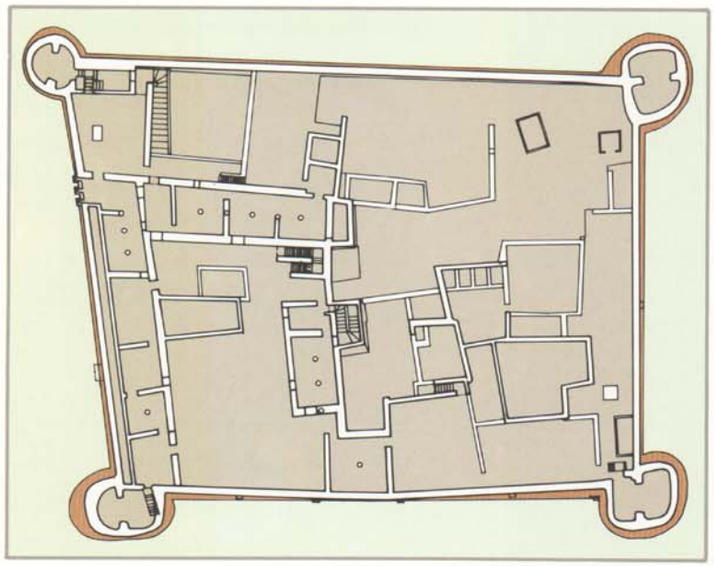

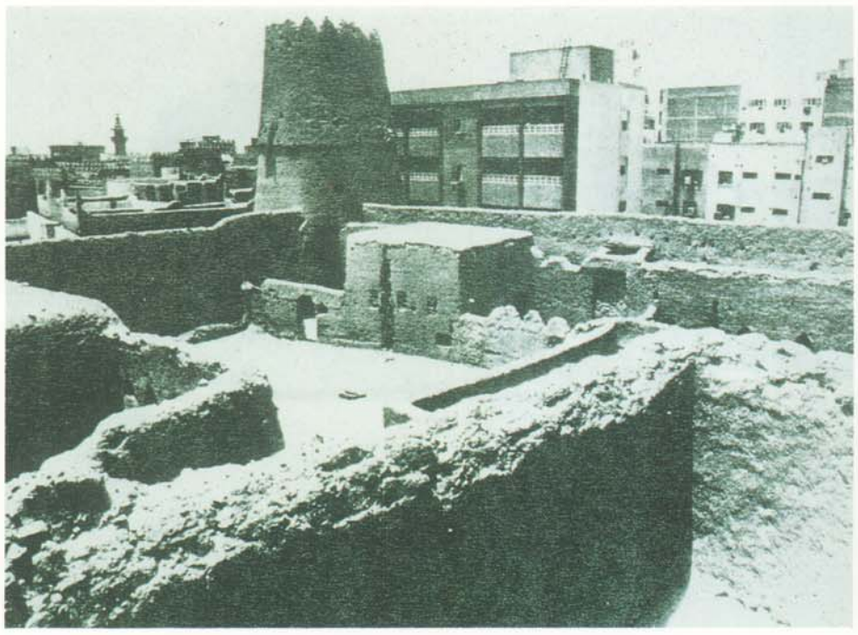

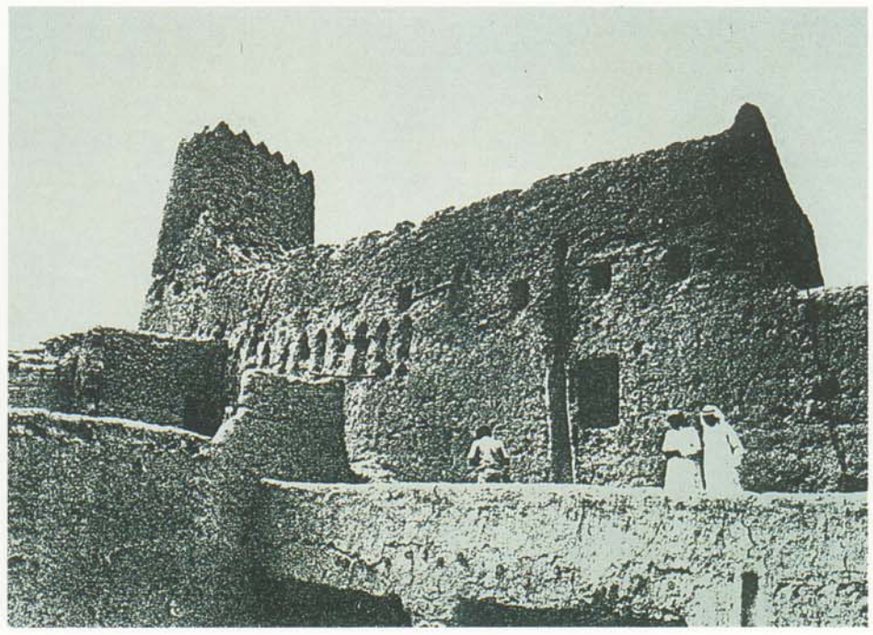

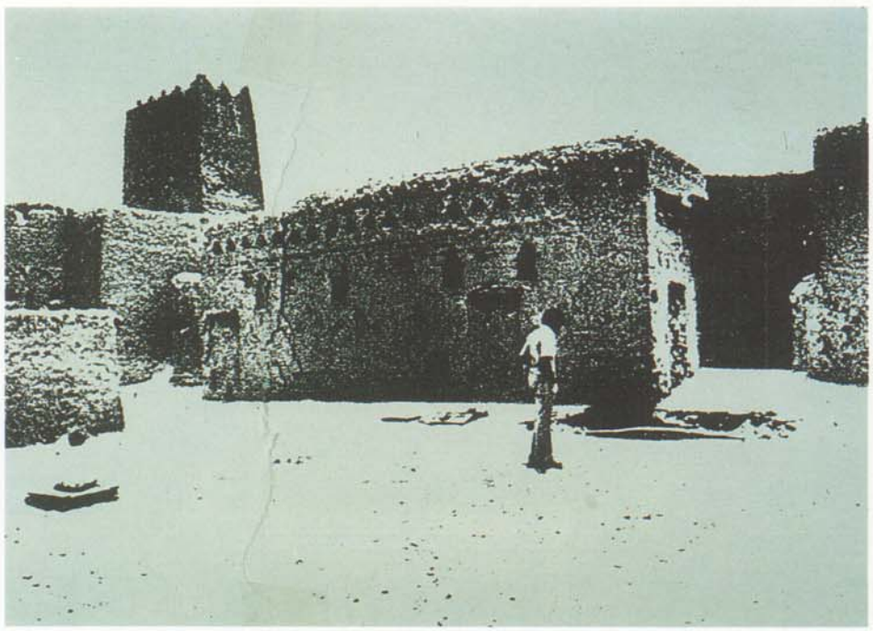

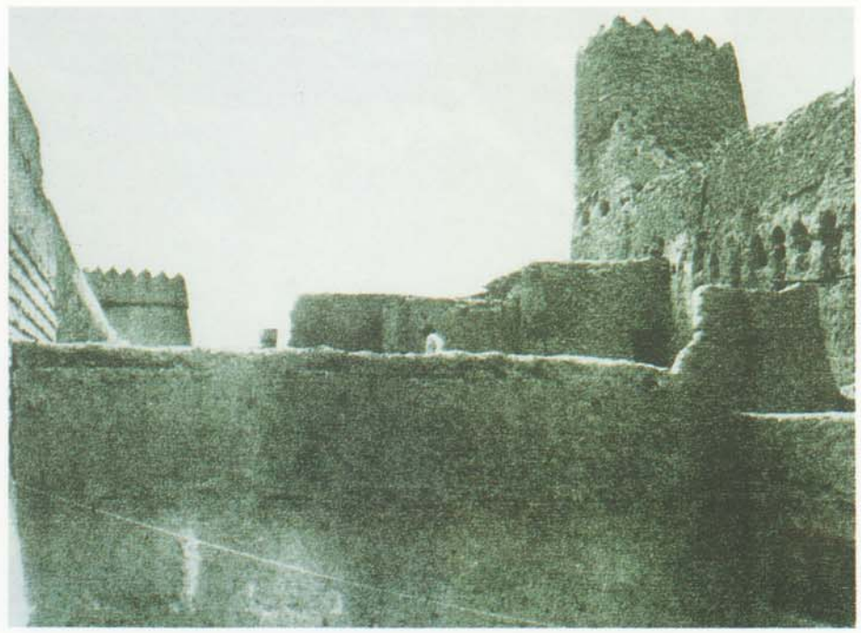

التصميم المعماري
والوظيف

المصمك / الوضع الراهن

يعتبر المصمك حصناً ومجمعاً ادارياً وسكنياً متكامل الخدمات ، كما يتضح ذلك من وضعه الراهن . فهو يتألف من جزأين رئيسيين ومجموعة من عناصر الدفاع .

المنطقة الأدارية

تقع '' بجوار المدخل الرئيسي '' وتشكل المنطقة المكتبية المخصصة للإدارة والاستقبال، وهي كانت مفتوحة للمواطنين ومرتبطة مباشرة بالمسجد داخل المصمك.

المنطقة السكنية والخدمات

تضم الوحدات السكنية وتلتف حول فناء الخدمة الأوسط، وهي أقرب

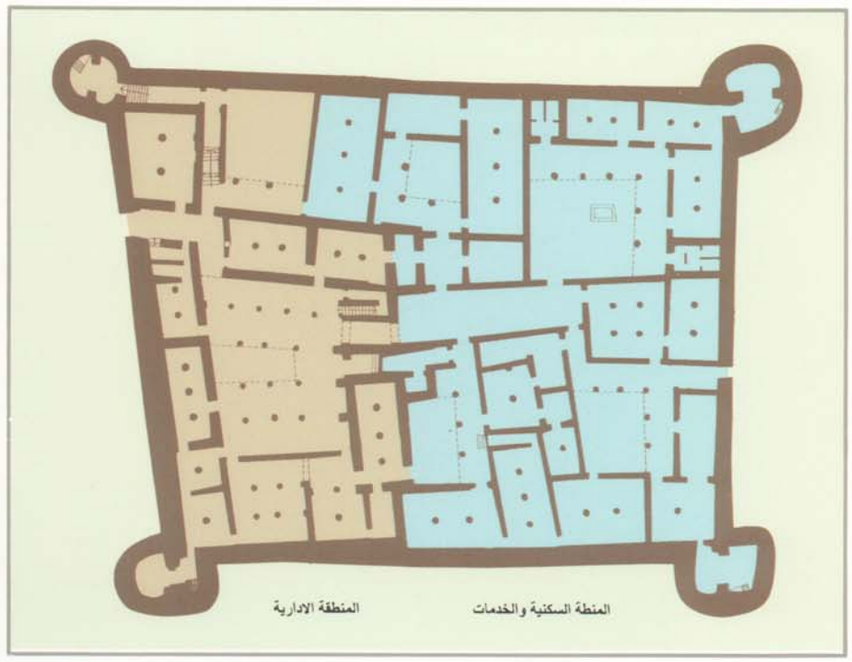

ما تكون إلى المجموعة السكنية بجميع مميزاتها العمرانية والمعمارية الخاصة بالمنطقة الوسطى.

كما يتضح اسلوب العمارة الحربية بجلاء في المصمك من خلال توفر العناصر المميزة لهذه العمارة، كالكسور العالي وأبراج المراقبة وأماكن الاستكشاف ومنافذ الرمي.

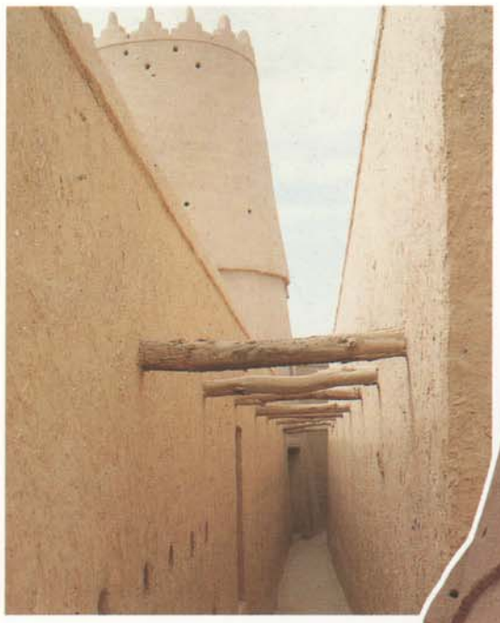

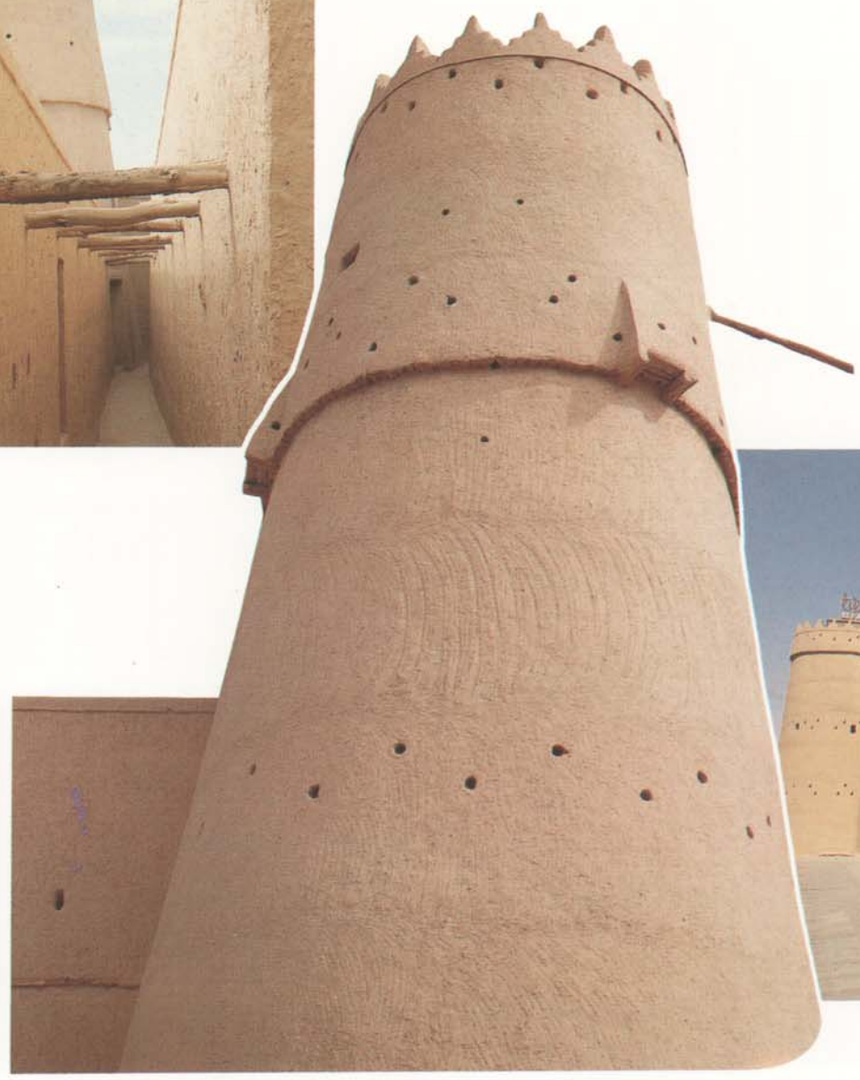

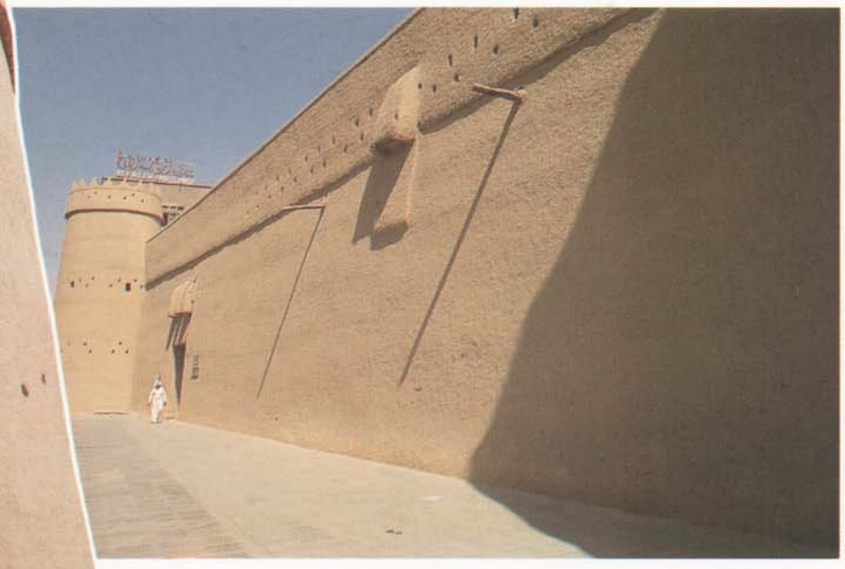

التشكيل الفراغي

يتكون المصمك من دور أرضي رئيسي متكامل ، ودور علوي في الجزء المطل على الفناء الرئيسي ، اضافة إلى بعض الغرف في الجزء الشمالي والشرقي لسطح الدور الأرضي .

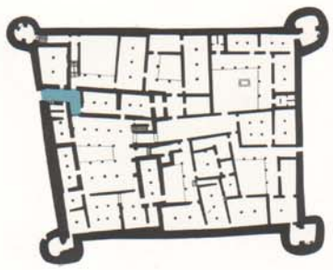

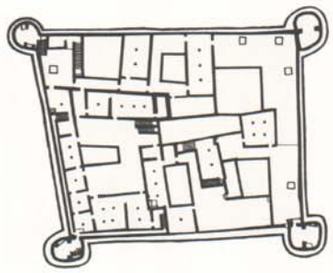

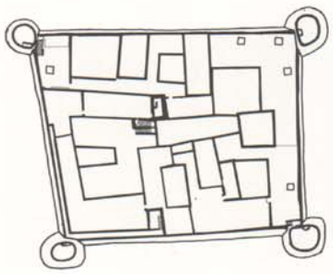

الدور الأرضي

المدخـــل

يتكون الدور الأرضي من المدخل الرئيسي الذي يشكل الاتصال الأفقي بين المصمك والطريق خارجه، وينتهي عند الجدار الغربي للمجلس السفلي، مكوناً بذلك جداراً حاجباً للرؤية، وكان فيه أماكن للجلوس تعرف بـ " الدكات " أزيلت أثناء الترميم . ويتصل هذا المدخل بالمسجد وبدرج يؤدي إلى الدور الأول ويقود إلى المناطق الدفاعية ، كما يوجد به الباب الرئيسي للمصمك الذي يعتبر أهم جزء من أجزائه .

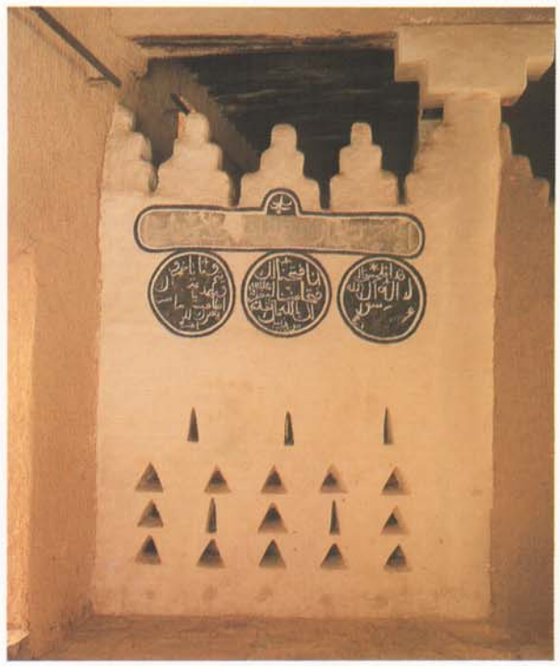

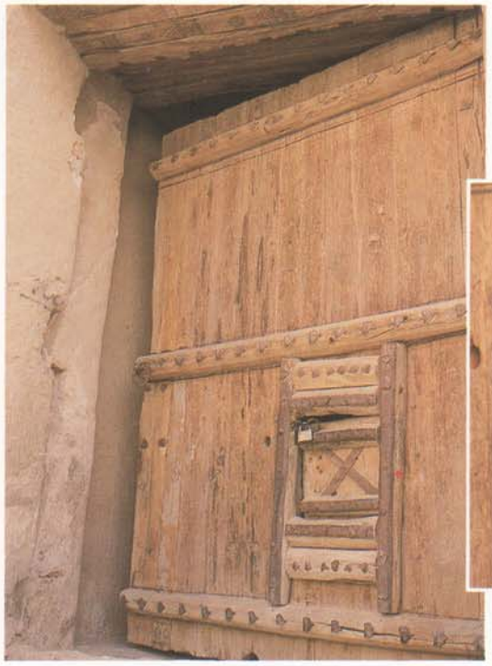

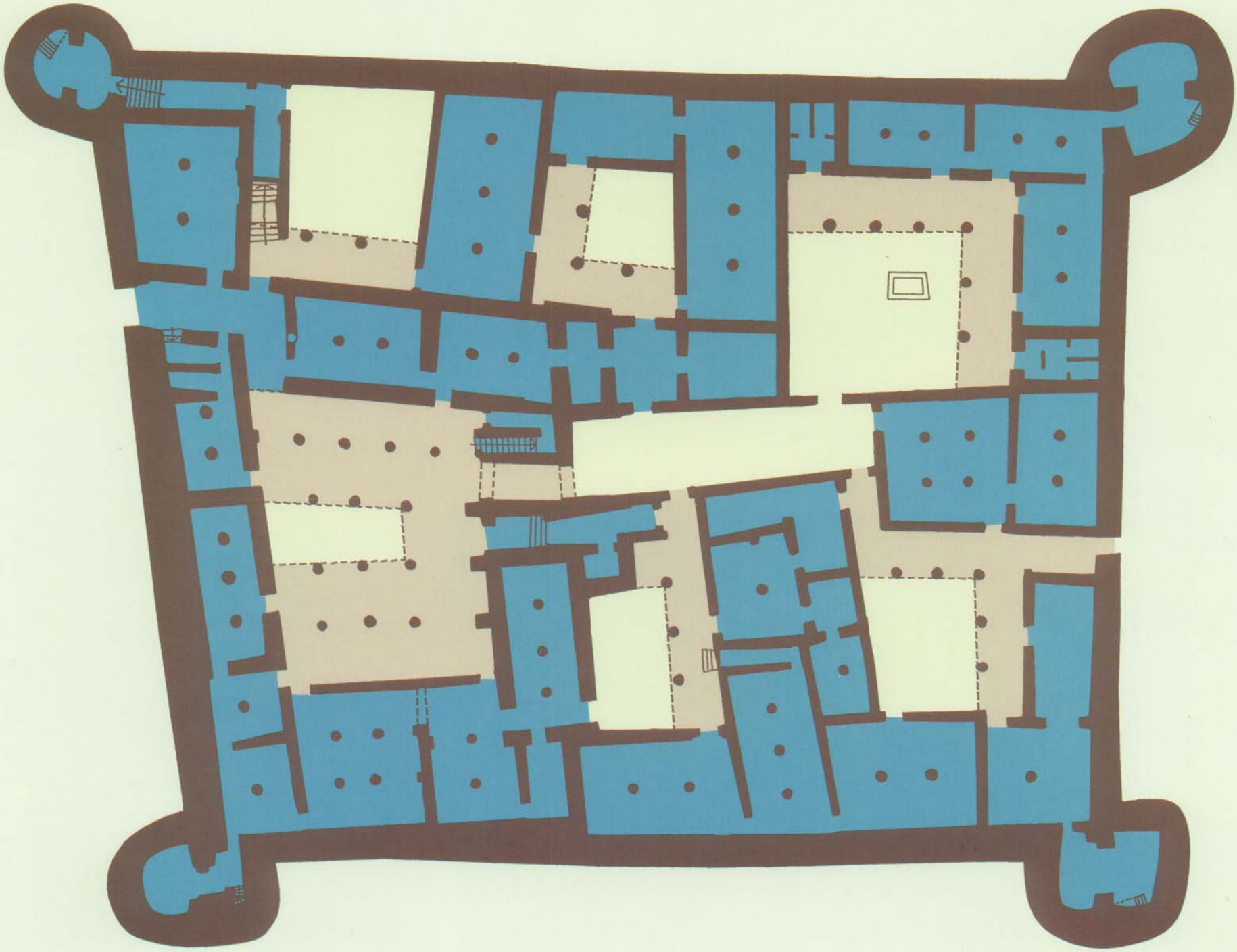

المسجد

يقع المسجد على يسار المدخل الرئيسي، وهو عبارة عن غرفة محمولة على أعمدة وذات شبابيك في الواجهة الشرقية تفتح على الفناء المجاور. وتم نحت المحراب إضافة إلى الفواغر وفتحات التهوية غير المباشرة في جدار القبلة، وقد عدل باب المسجد من الشرق إلى الجنوب أثناء الترميم.

يجاور المسجد من الشرق، فناء داخلي ذو أروقة من الجنوب تفتح عليه شبابيك المسجد، يستخدم للصلاة صيفاً، ويعتبر هذا الفناء الاتصال الحركي المباشر بين المدخل الرئيسي والوحدة السكنية المجاورة له من الشرق. ويتصل به ممر يؤدي إلى الدور الأرضي للبرج الشمالي الغربي. ويعلو هذا الممر الدرج المؤدي إلى الدور العلوي لنفس البرج عبر سطح المسجد.

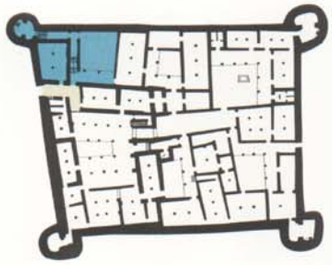

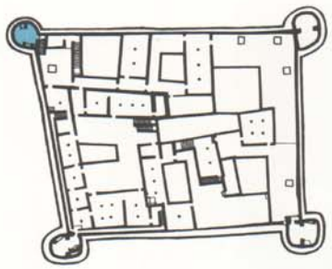

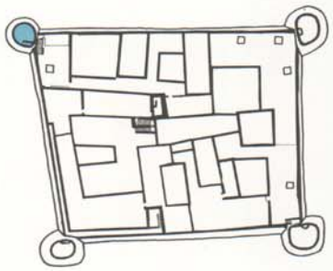

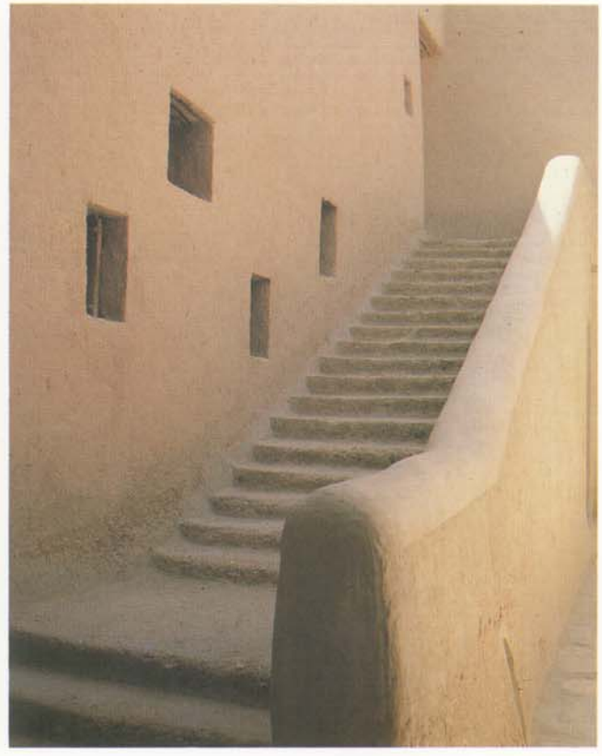

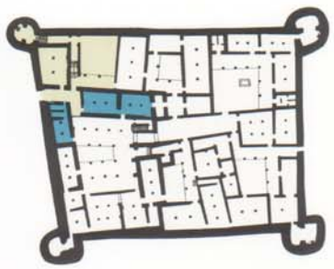

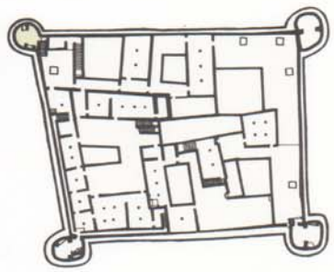

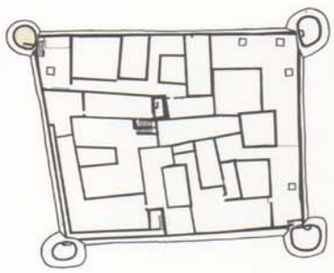

المجلس السفلي " الديوانية "

تحيط بالمدخل أماكن استقبال وجلوس الضيوف والتي تعرف بالديوانيات ـ جمع ديوانية ـ وهي ذات تصميم وظيفي خاص تتميز به عن باقي الحجرات . ويوجد في المصمك ديوانيتان الأولى أمام المدخل مباشرة ، وهى ذات شكل مستطيل ومسقوفة على عمودين ، وقد ترك فراغ للتهوية والانارة في الجهة الغربية ، وتمت زخرفتها بعدد من الشرفات والفواغر . كما توجد تشكيلة كبيرة من الفتحات المثلثة والمستطيلة للتهوية والانارة ، تفتح من الجنوب على الفناء الرئيسي ويتصل بها من الجهة الشرقية غرفة اعداد القهوة والتي تكوّن العنصر المساند للديوانية الأولى .

أما الديوانية الأخرى ، على يَمين المدخل ، فهى خاصة بـ " الأخويا " ، ويتصل بها بيت الدرج المؤدي للدور العلوي والمناطق الدفاعية ، والمستخدم كمستودع للأخشاب المستعملة في ايقاد النار . وتفتح هذه الديوانية مباشرة على الفناء الرئيسي للمصمك .

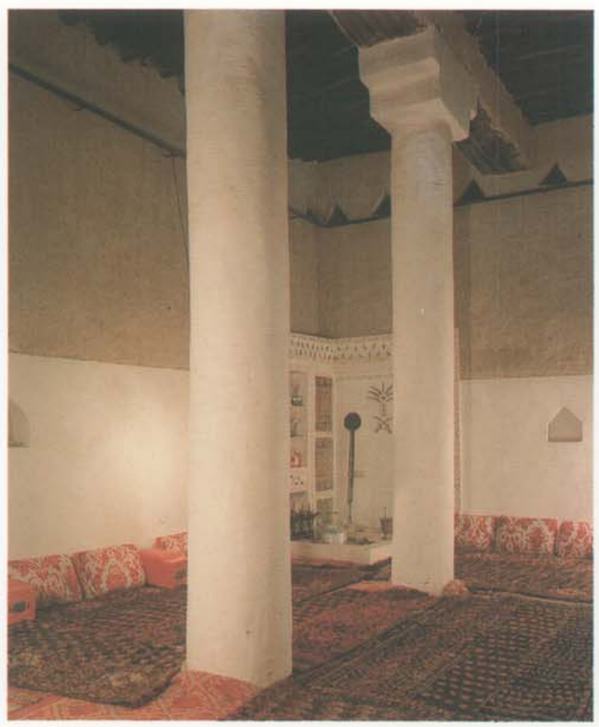

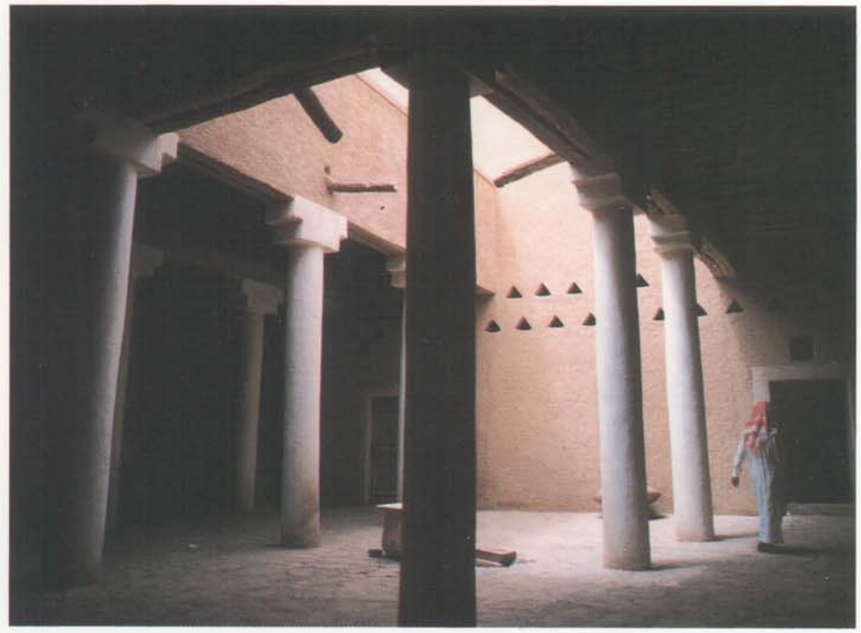

الفناء الرئيسي والغرف المحيطة

يتصل الفناء الرئيسي بالمدخل بشكل غير مباشر، وهو فناء محاط من ثلاث جهات بأروقة ذات أعمدة نجدية بسيطة تبلغ ثلاثة عشر عموداً محيط الواحد منها " ١,٥ " متر تقريباً . بينما أزيل الحائط الساتر فيما بين صف الأعمدة الشمالي أثناء الترميم . وتحيط بالفناء غرف ذات أعمدة متصلة ببعضها البعض داخلياً . ويتصل بالفناء درجان في الجهة الشرقية ، الأيسر منهما قديم ، ذو عرض قصير ، ويؤدي للدور الأول ويستمر صاعداً للدور العلوي والأسطح .

والأيمن منهما ذو عرض أكبر ، ويوصل إلى الأسطح الشرقية عن طريق غرفة تعلو الوحدة السكنية الأولى .

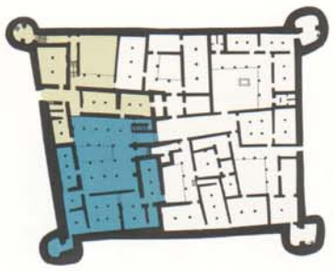

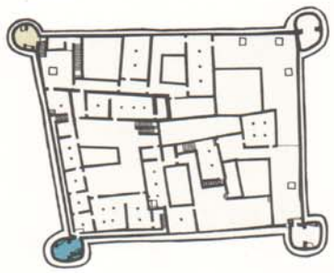

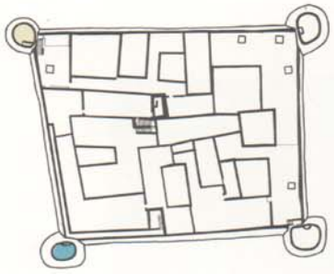

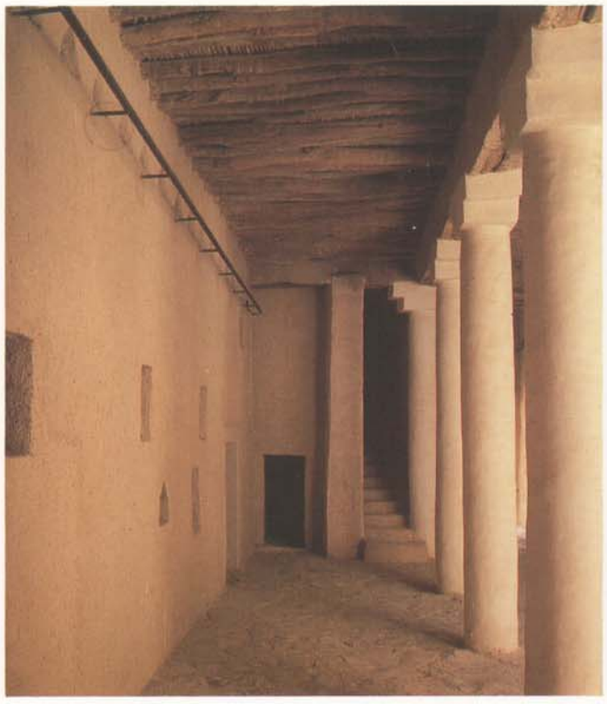

وقد تم تعديل الدرج الأيمن وتوسعته أثناء الترميم، بعد إزالة الحمامات المجاورة له ـ والتي هي عبارة عن غرف فوق بعضها البعض تعلو حجرة تجميع النفايات بالدور الأرضي بشكل يتيح الاتصال الداخلي الرأسي المباشر بينها وبين حجرة تجميع النفايات التي لها فتحة للتنظيف وتتصل هذه الحمامات بدرج متفرع من الدرج الرئيسي ـ بينما يتصل بالفناء من الشرق وعبر ممر صغير، فناء الخدمة الأوسط.

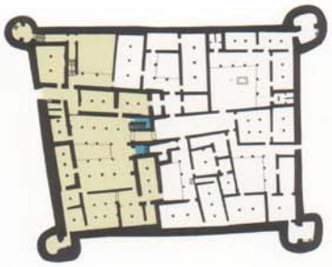

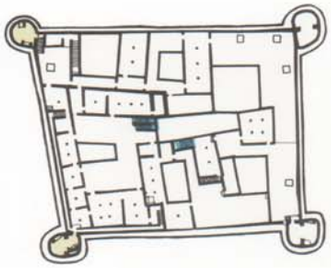

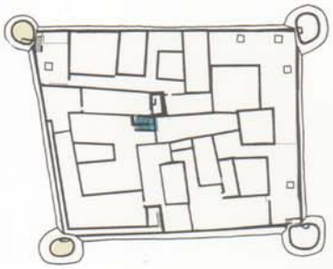

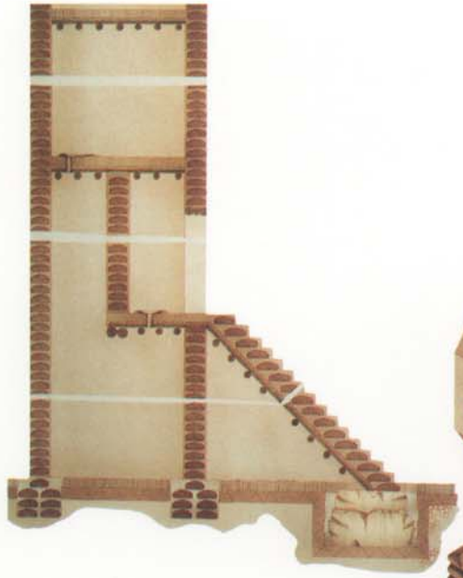

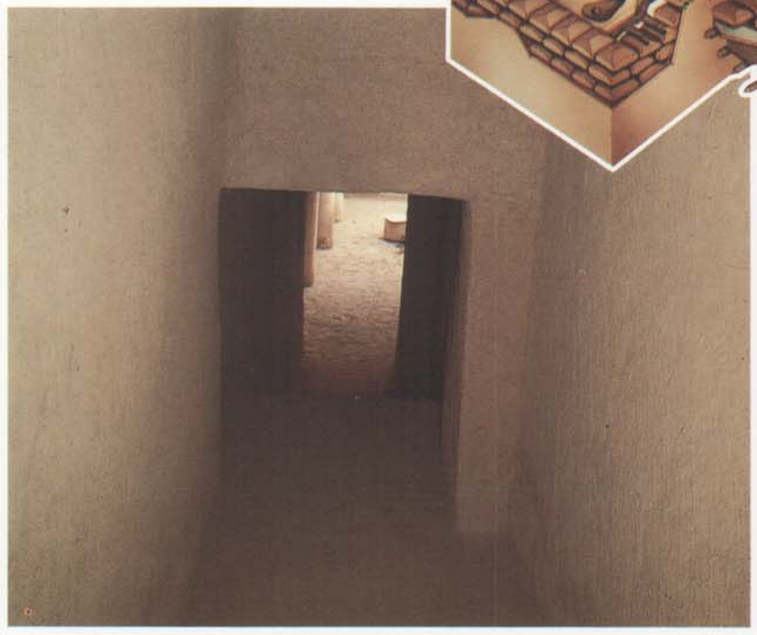

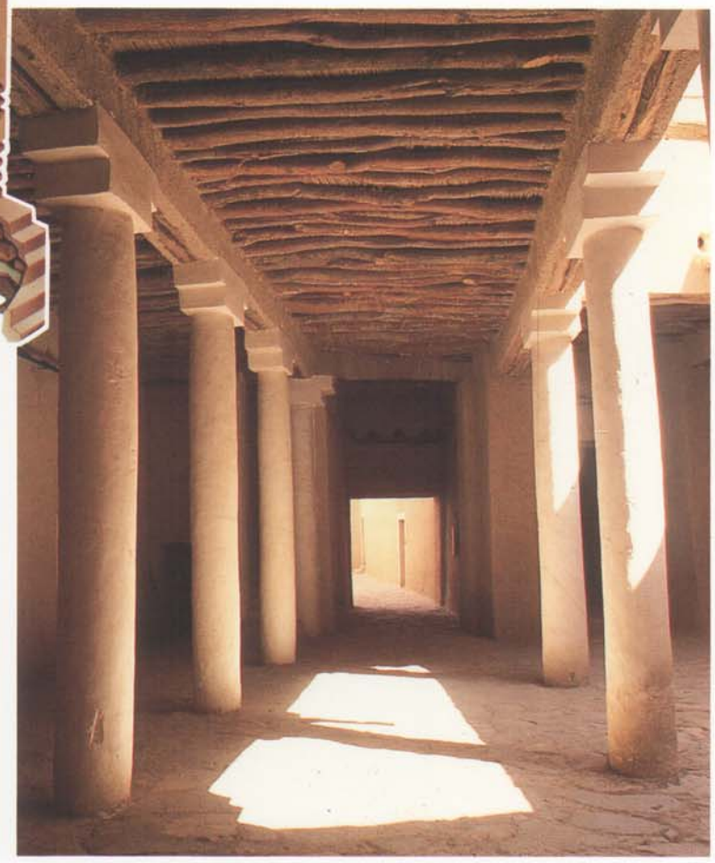

فناء الخدمة الأوسط

يتصل الفناء الرئيسي عبر ممر مسقوف بفناء الخدمة الأوسط والذي هو محور الاتصال بين الفناء الداخلي الرئيسي والوحدات السكنية وفناء الخدمة الرئيسي " الحوش " ويشرف عليه البرج الأوسط " المربعة " من الجهة الشمالية الغربية .

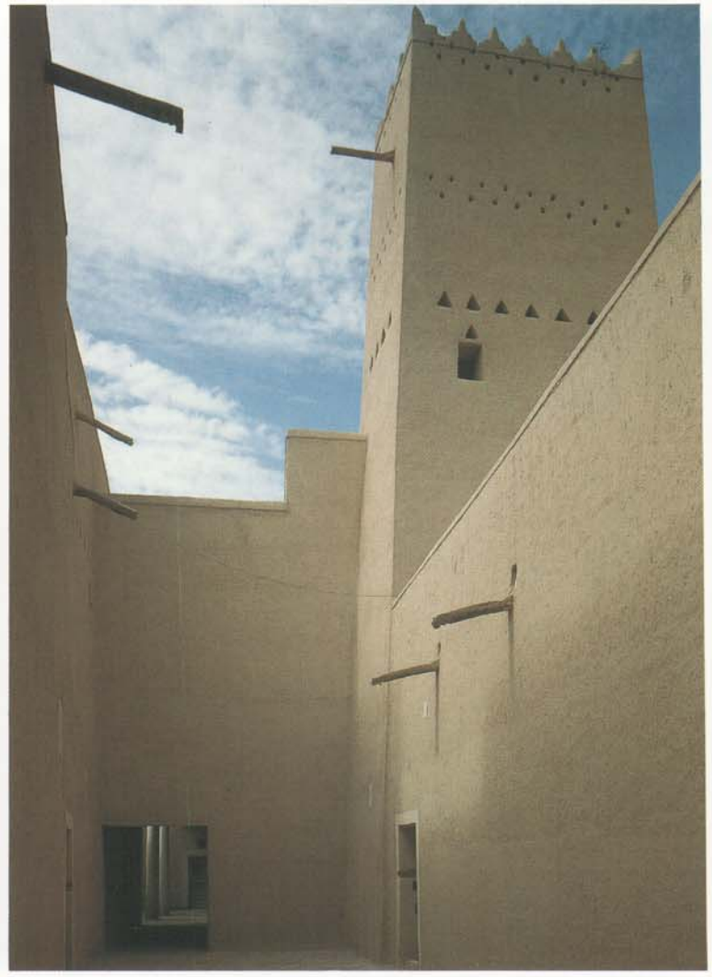

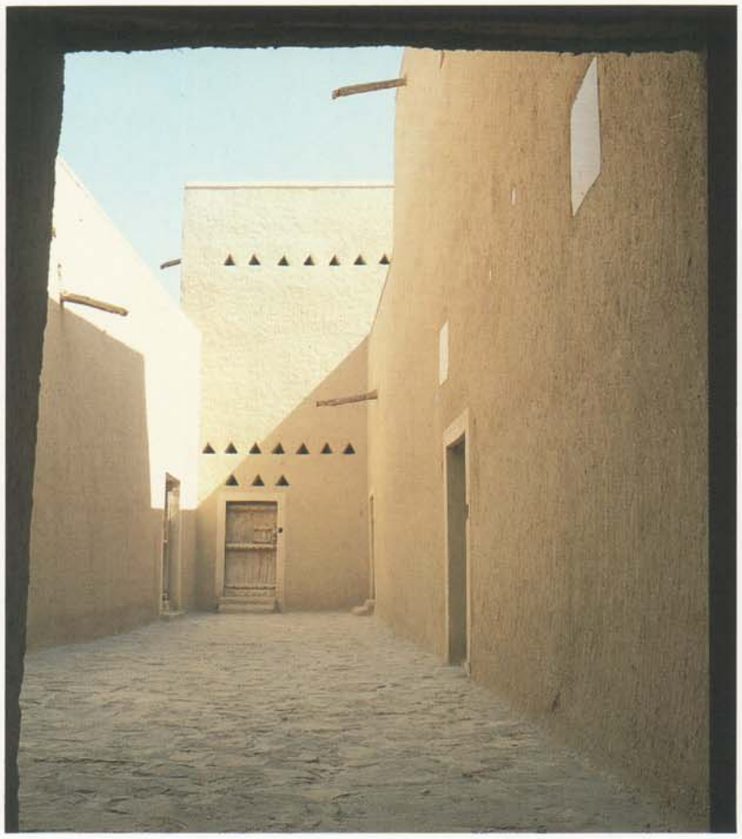

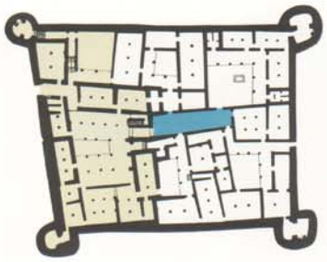

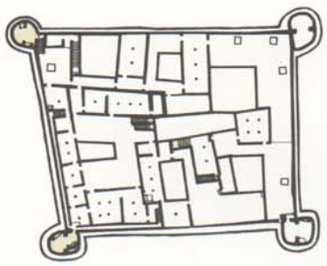

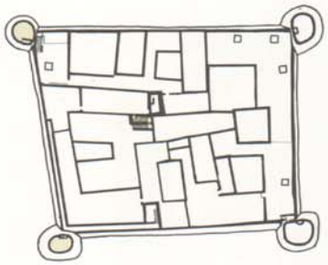

الوحدات السكنية

تتكون الوحدات السكنية فى المصمك من ثلاث وحدات تتشابه فى التصميم العام وتختلف في الحجم .

● الوحدة السكنية الأولى

تقع في الجهة الجنوبية الغربية لفناء الخدمة الأوسط ، وتلتف غرفها الأربع حول فناء داخلي ذي أروقة بثلاثة أعمدة في الجهة الشرقية ، وهي ذات أبعاد متفاوتة يتوسطها غالباً عدد من الأعمدة الحجرية لزيادة أبعادها الداخلية . وترتبط عبر فنائها الداخلي بدرج يؤدي إلى غرفة في الدور العلوي مروراً بالحمام الخاص بالوحدة والذي أزيل أثناء الترميم . ويعتقد أن هذه الوحدة هى الرئيسية ، والتي كانت تستخدم لاقامة الحاكم ، لتكاملها وارتباطها ببعضها البعض من جهة ، وسهولة اتصالها بالفراغات الأخرى المحيطة بها أفقياً ورأسياً من جهة أخرى .

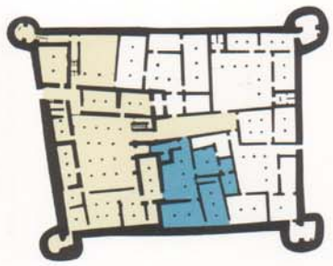

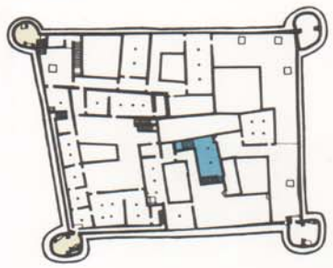

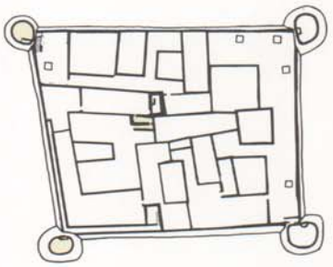

الوحدة السكنية الثانية

تقع الوحدة الثانية في الجهة الجنوبية الشرقية للمصمك ، بجوار البرج الجنوبي الشرقي ، وتتكون من عدد من الغرف ذات الأعمدة والتي تلتف حول فناء داخلي ذي أروقة بخمسة أعمدة في الجهتين الشرقية والشمالية له ، ويتصل بها الباب الشرقي للمصمك والذي أعيد فتحه أثناء الترميم ويعتقد بأن بعض غرف هذه الوحدة أستخدمت كبيت للمال .

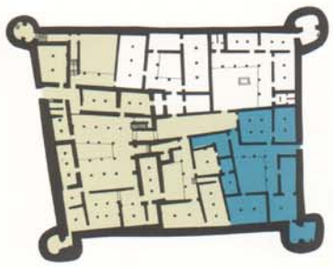

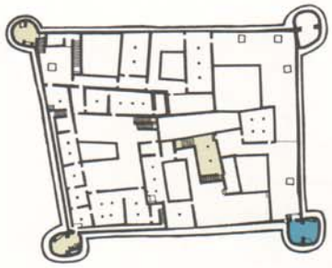

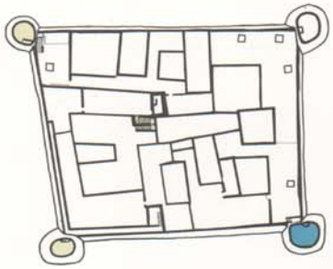

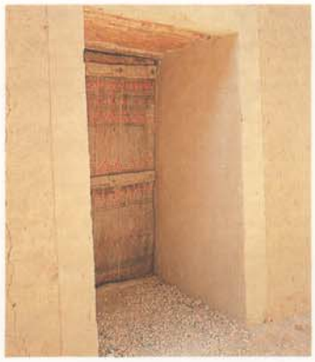

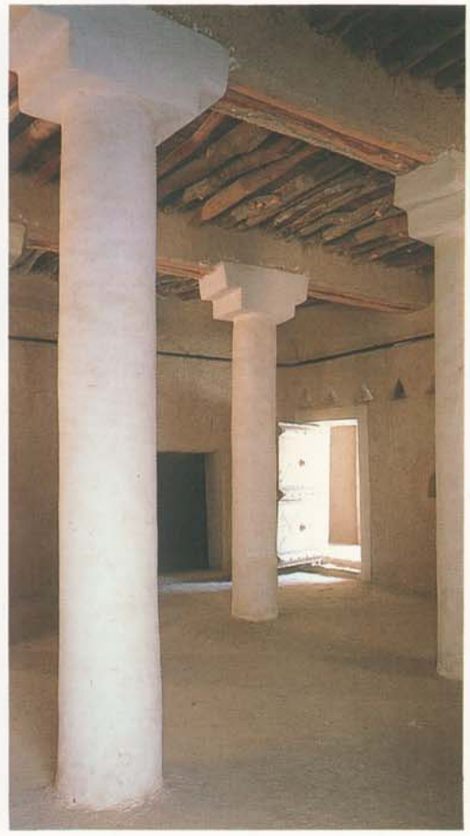

الوحدة السكنية الثالثة

تقع الوحدة الثالثة في الجهة الشمالية الغربية لفناء الخدمة الأوسط مقابل الوحدة السكنية الأولى ، وهي ذات اتصال مباشر مع فناء الخدمة الأوسط وبالديوانية عبر غرفة اعداد القهوة ، كما تتصل بالفناء المجاور للمسجد عبر احدى الغرف الثلاث الملتفة حول فناء ذي أروقة بثلاثة أعمدة من الجنوب والغرب .

ويحتمل أن تكون قد خصصت مقراً لاقامة الضيوف وذلك لانفصالها التقريبي عن المنطقة السكنية والخدمات ، واتصالها بالديوانية والمدخل الرئيسي للمصمك ، من خلال الفناء المجاور للمسجد .

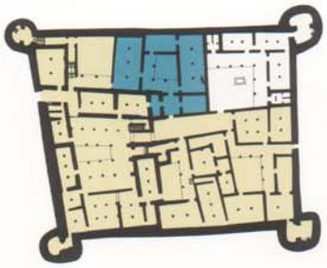

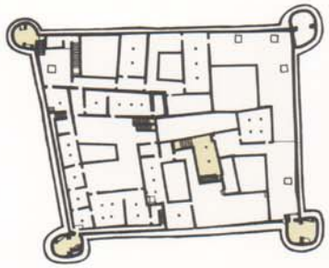

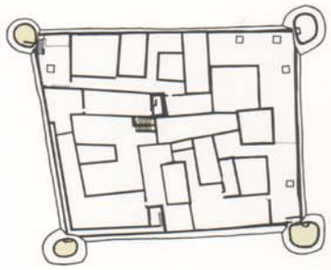

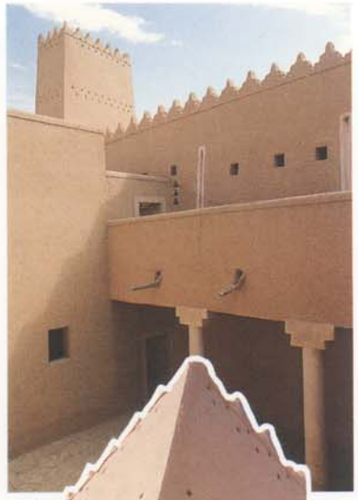

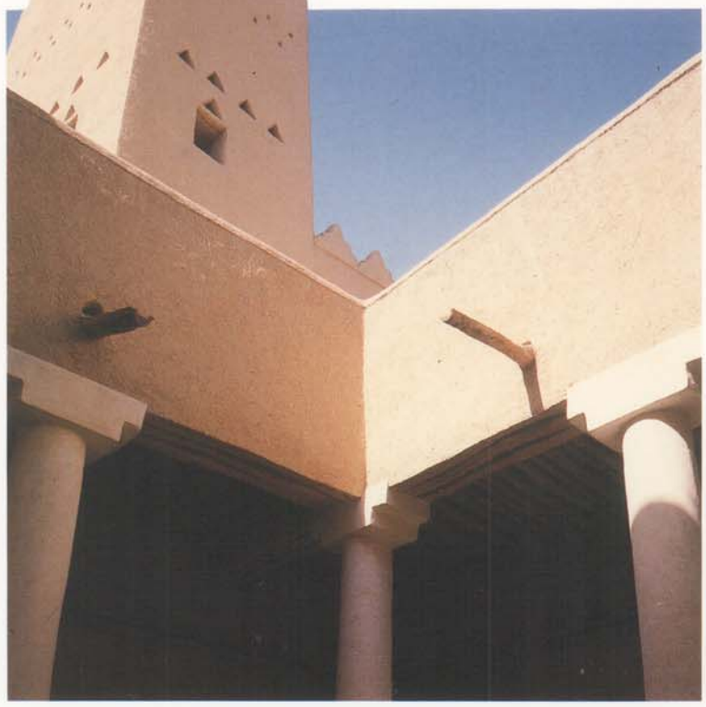

فناء الخدمة الرئيسي " الحوش "

يقع فناء الخدمة الرئيسي " الحوش " فى زاوية المصمك بجوار البرج الشمالى الشرقى ، وفيه بئر الماء التي تفى باحتياجات المصمك ، اضافة لرى الزروع والنخيل التى كانت موجودة وأزيلت في فترات لاحقة ، ولم يكن بالفناء سابقاً سوى البرج والذي ليس له أبواب في الأدوار العليا تفتح على الأسطح المجاورة كما فى الأبراج الأخرى ، مما يؤكد عدم وجود أية حجرات مجاورة ومتصلة به وقت بنائه .

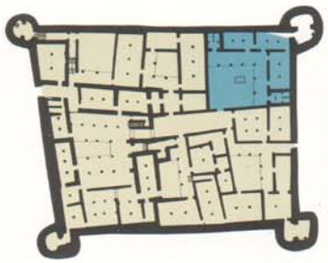

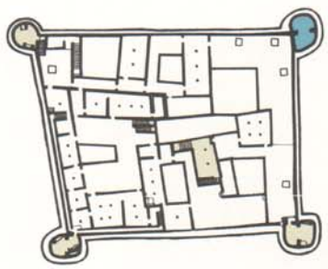

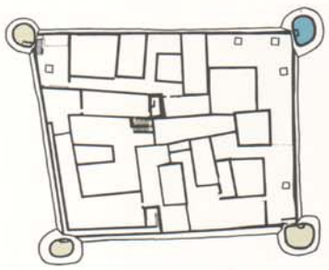

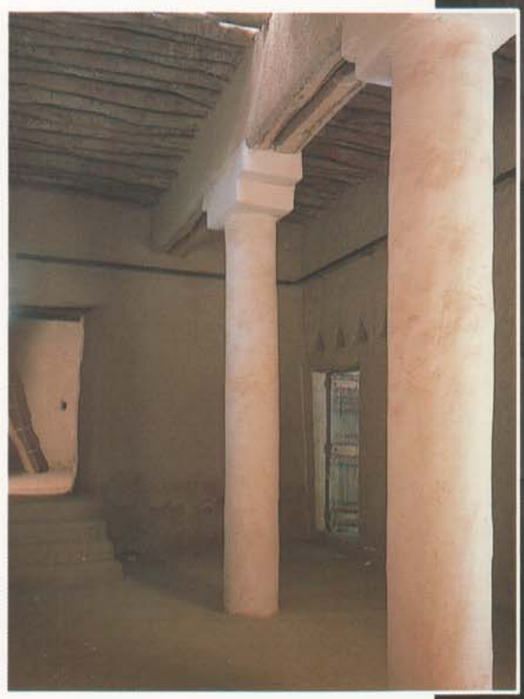

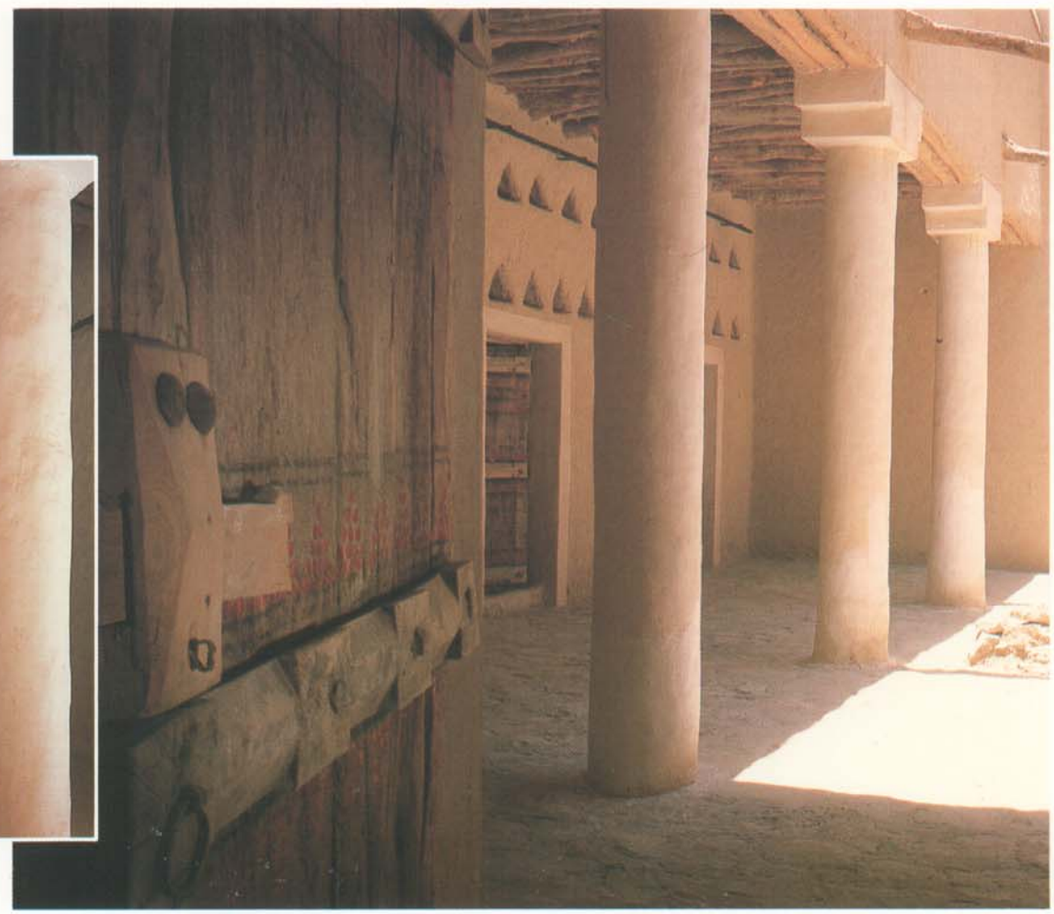

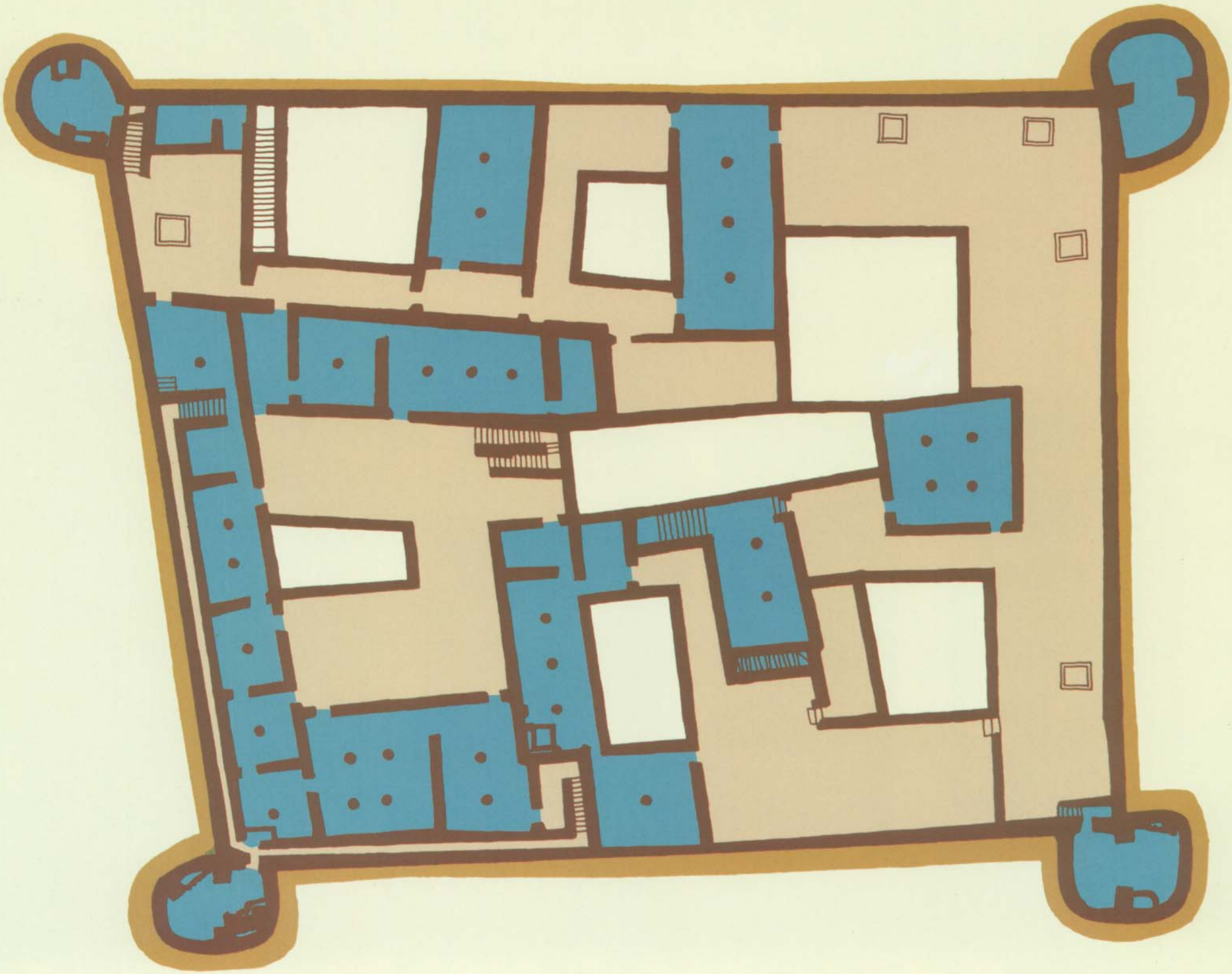

الدور الأول

يتكون الدور الأول للمصمك من غرف تطل على الفناء الرئيسي اضافة إلى بعض الغرف في الجزء الشمالي والشرقي ، والتي تعلو الوحدات السكنية .

يعلو الجزء الرئيسي للمصمك سطح مكشوف يطل على الفناء الرئيسي ـ وكان له دروة ذات ارتفاع منخفض ، وقد زيد ارتفاعها أثناء الترميم ـ ويلتف حوله عدد من الغرف اضافة إلى الروشن العلوي والذي يتكون من غرفتين متصلتين معاً ، الشرقية الجنوبية منهما يوجد بها وجار قديم وتستعمل كمجلس صيفي لتخلل واجهاتها الشمالية والشرقية فتحات مثلثة ومستطيلة بتكوينات جمالية واتصالها بالأسطح الشرقية لها ، أما الأخرى فهى الروشن وهو مزود بزخارف جصية حديثة وبه وجار وكمار لاعداد القهوة ـ تمت اضافتهما مع الزخارف الجصية أثناء الترميم ـ وتتصل به غرفتان صغيرتان احداهما تصل الداخل الى الروشن " المجلس العلوي " . والأخرى تؤدي الى السطح الشرقي المجاور . وكان الروشن يتصل مباشرة بالدور الأرضي عبر درج أغلق أثناء الترميم .

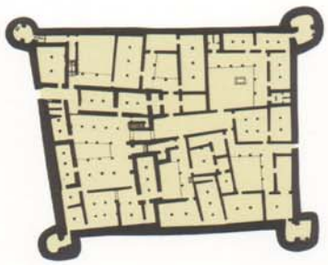

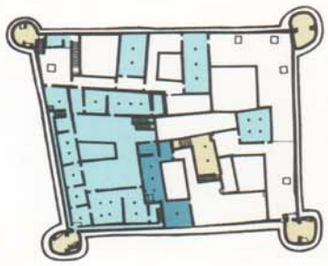

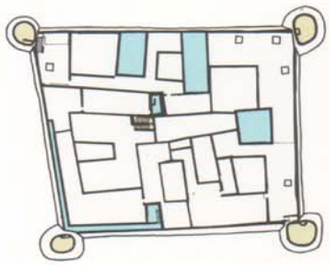

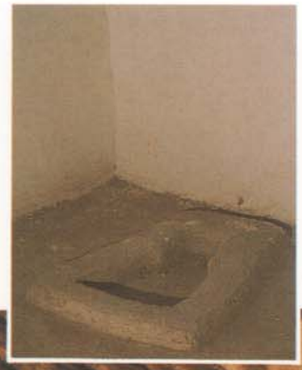

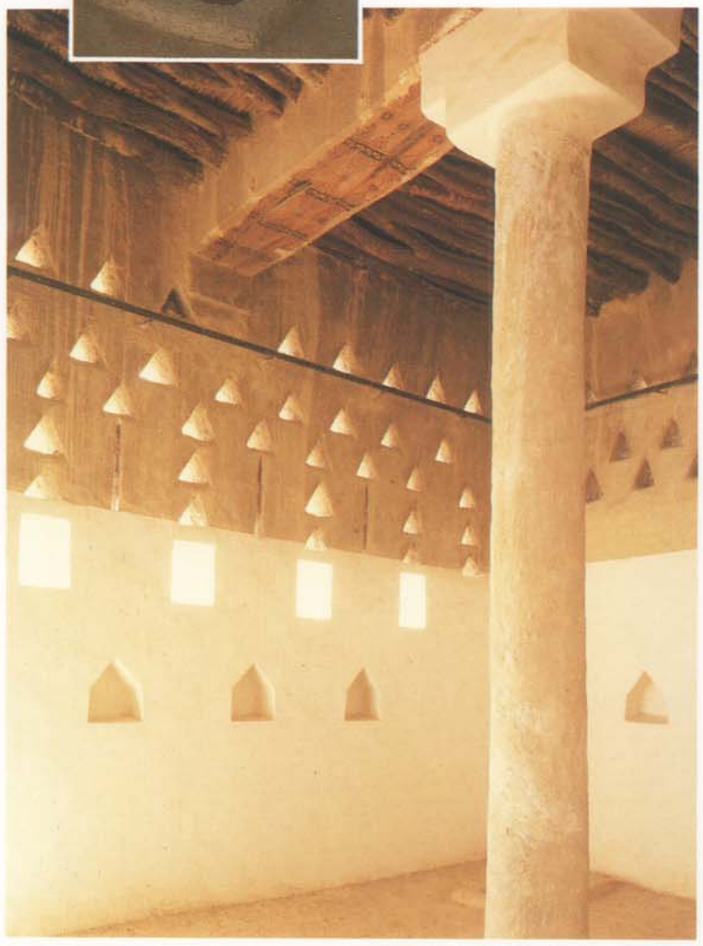

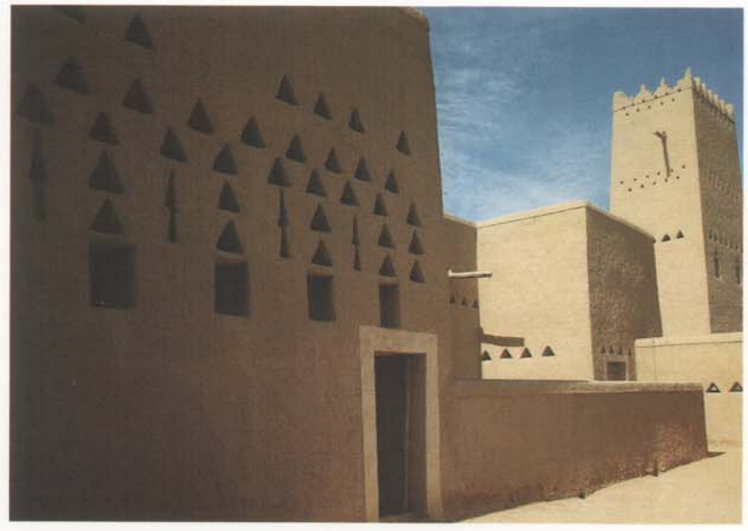

وتحيط بالفناء مجموعة من الغرف بعضها مضاف وبعضها الآخر تم تعديله أثناء الترميم ، وتعلو احداها المدخل الرئيسي للمصمك وتتصل به مباشرة بدرج صغير ، إضافة إلى احتوائها على الطرم التى فوق المدخل ، وعن طريقها يمكن الوصول للبرج الشمالى الغربى عبر سطح المسجد ، بينما يوجد فى الجهة الجنوبية للغرفة درج يوصل إلى ممر به فتحات للرمي يعلو سمك السور الخارجى الغربى للمصمك ، ويلى الدرج خمس غرف متصلة ببعضها البعض داخلياً ، وتشير المعلومات إلى أن الأخيرة منها " الجنوبية الغربية " كانت متصلة بالبرج الجنوبى الغربى عبر باب أسفل السلم الحالى ، أما الغرف الثلاث المجاورة للغرفة التى تعلو المدخل من الجنوب فتعتبر حديثة العهد ، أضيفت أثناء الترميم لأغراض الاستخدام المستقبلى ، وكان يوجد مكانها مدرج يوصل للمرامى بأعلى السور والذي هو الآن محصور بينها وبين السور الغربى للمصمك .

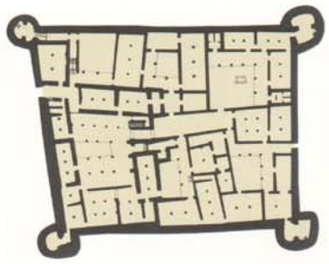

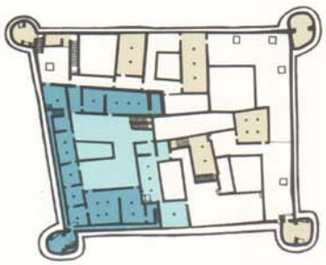

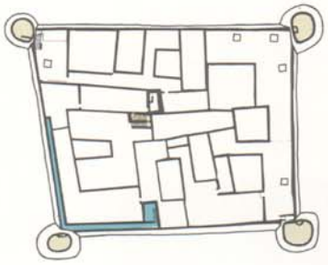

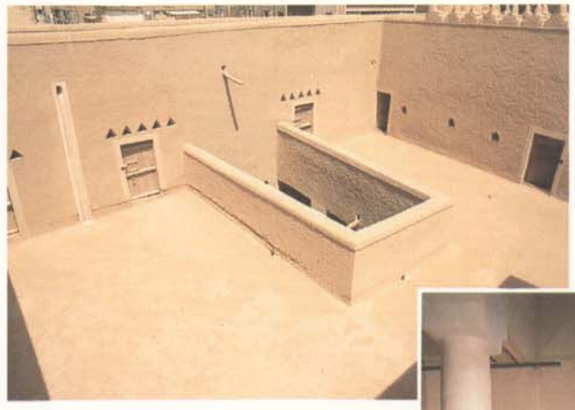

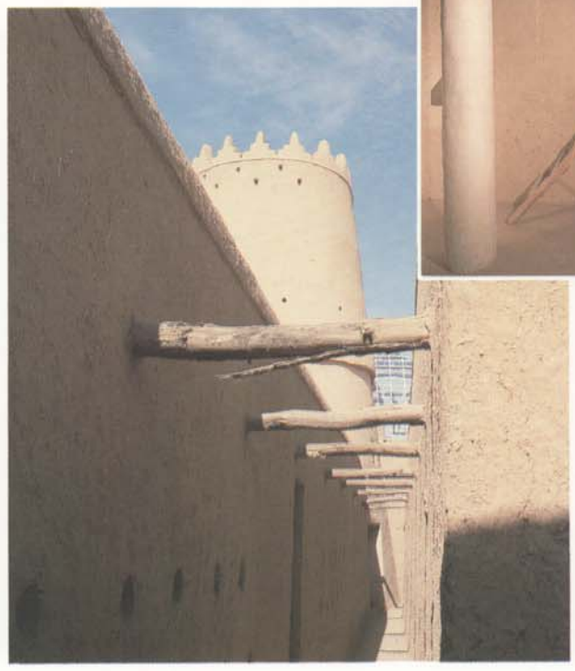

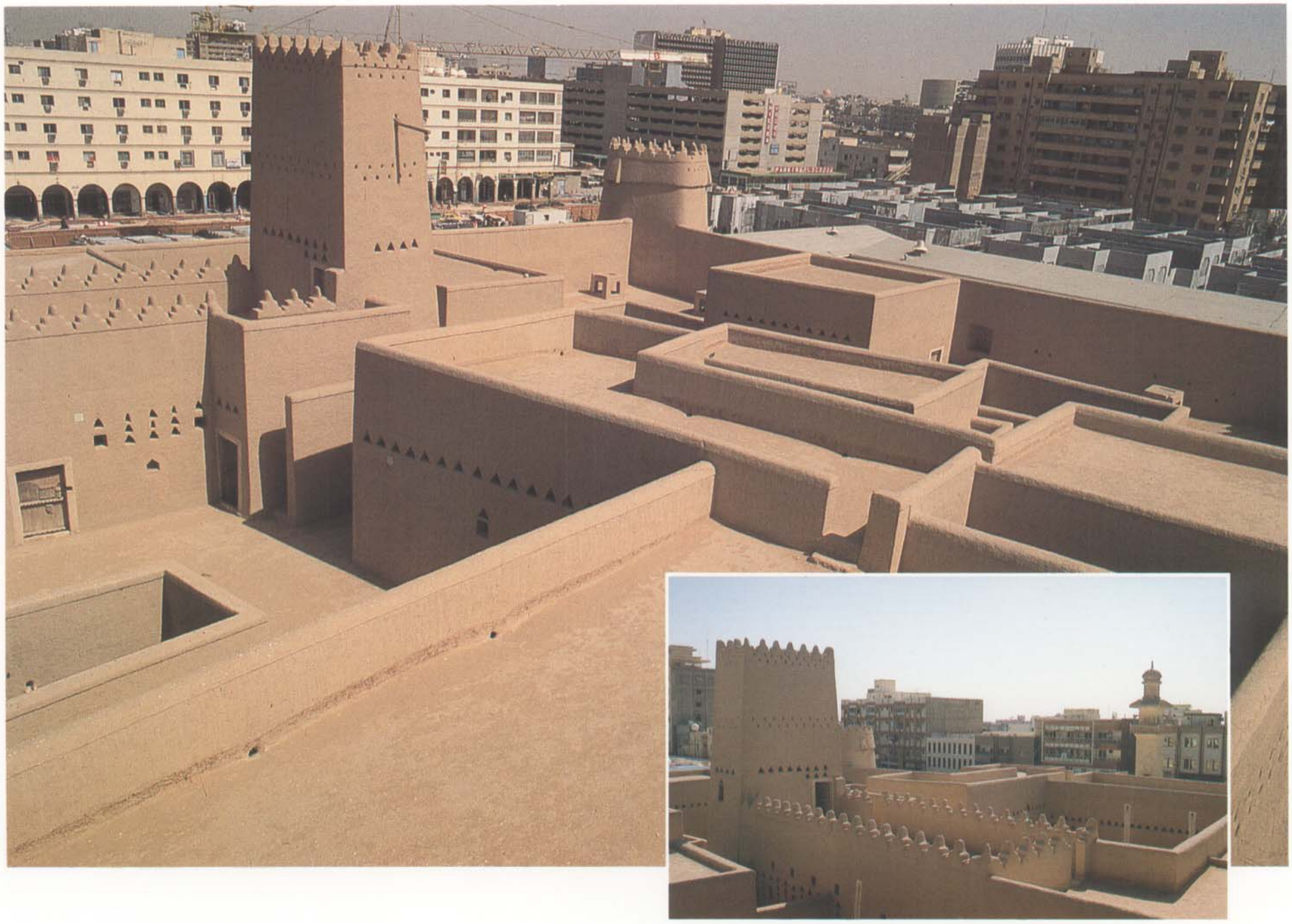

يصل هذا الدور بالدور الأرضي والأسطح والبرج المربع الأوسط ، درج صغير مغطى في جزئه الأول ومكشوف في الثاني ، ويقع في الجزء الشمالي الشرقي للفناء الداخلي الرئيسي .

ويشرف البرج المربع الأوسط على المصمك والمناطق المحيطة به ويستخدم للمراقبة الخارجية والداخلية، بينما تستخدم الأبراج الأربعة الاسطوانية الشكل في زوايا المصمك للحراسة والدفاع، وتتكون الأبراج بشكل عام من غرف يعلو بعضها البعض وتتصل بسلالم خشبية بسيطة، ويربط بينها سور مصمت ذو ارتفاع عال، وهذه الأسوار أو الجدران الخارجية سميكة في قاعدتها ورفيعة عند قمتها حيث يصل سمكها عند القاعدة إلى ٢,٠٠ متر تقريباً و ٠,٤٠ متر عند القمة. بينما الجدران الداخلية ذات سماكة واحدة وأقل كثيراً من الخارجية .

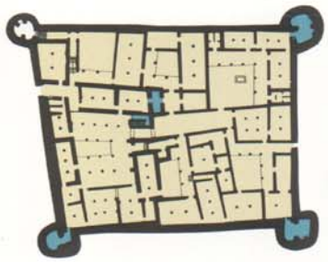

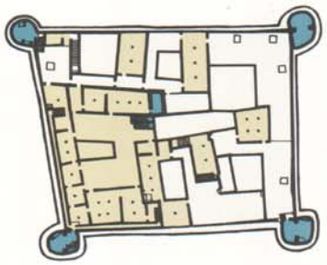

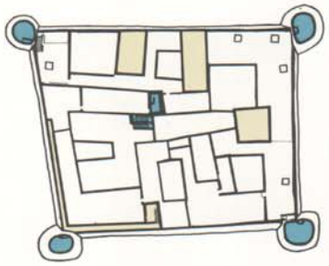

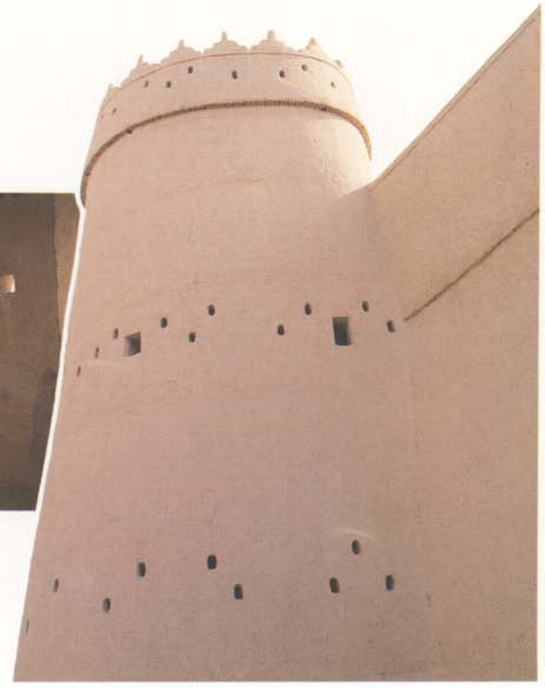

ويتخلل الحوائط الخارجية فتحات بارزة تعرف بـ " الطرم " ـ جمع طرمة ـ وتوجد في جميع واجهات المصمك ، وتتركز بشكل خاص فوق المدخل ، إضافة إلى فتحات صغيرة مخصصة للرمي بالبنادق على هيئة أحزمة ، سواء في الأبراج أو في بعض أجزاء السور الخارجي ، وما عدا ذلك فالواجهات مصمتة ، بعكس الجدران الداخلية حيث تتخللها تشكيلات من الفتحات المثلثة والمستطيلة على هيئة مجموعات أو أحزمة أسفل السقف مباشرة ، وذات أبعاد صغيرة ، وهي مخصصة للاضاءة غير المباشرة وللتهوية ، ويعتبر المجلس الصيفي الملحق بالروشن مثالا جيد لتلك التشكيلات .

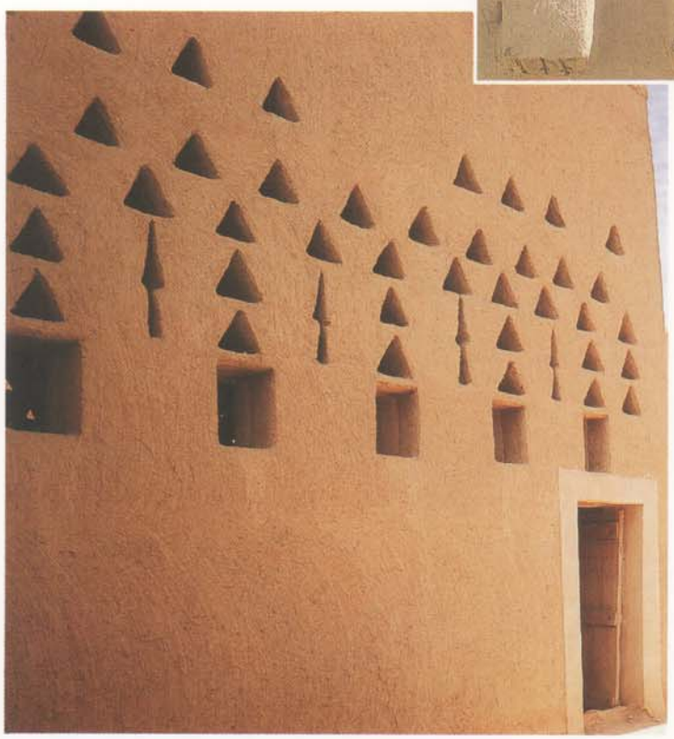

تصريف السيول

يتبع تصريف مياه المطر في المصمك نظاماً متكاملاً ، بدءاً من تصريف الأسطح الصغيرة والمنخفضة ، عبر فتحة في الدروة تسمح بانسياب المياه على الجدار إلى السطح الأسفل أو أرضية الفناء مباشرة ، وانتهاء بتصريف مياه الأسطح الكبيرة والعالية من خلال المرازيم ذات النهايات المختلفة والمناسبة لمواقعها حيث تنقل المياه إلى الخارج أو إلى الأفنية . ومن ثم يتم تجميعها في قناة تصريف رئيسية مكشوفة تتخلل أرضية الأفنية مروراً بفناء الخدمة الأوسط ومنه إلى الخارج عبر الفناء الرئيسي والمدخل .

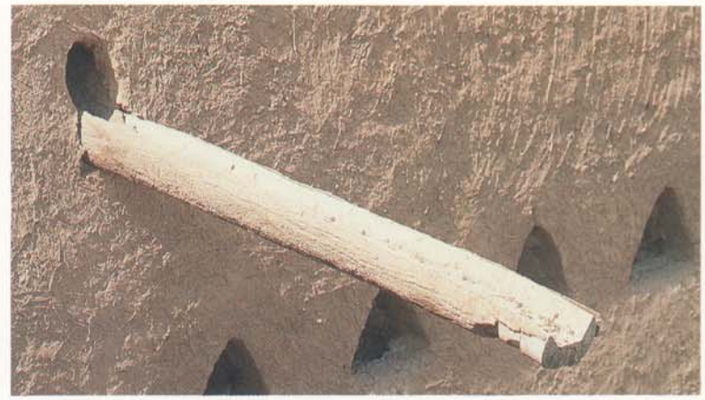

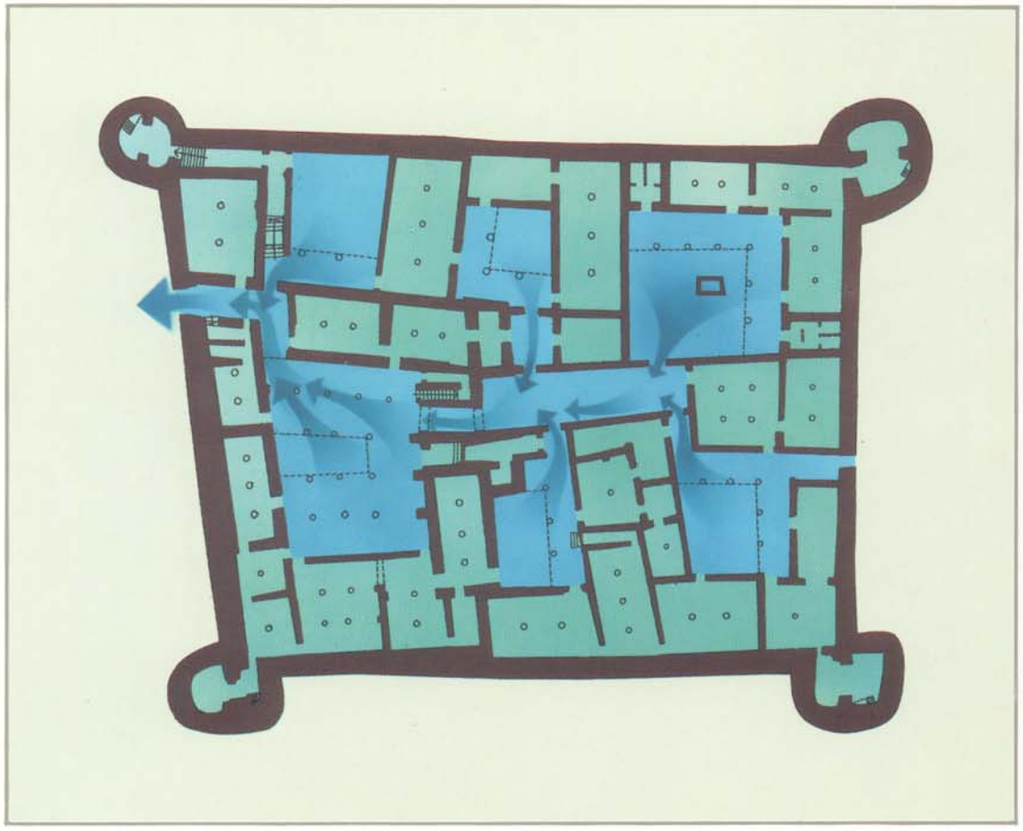

العناصر الجمالية والزخرفية

أبدع معلمو المعمار قديماً فى العناصر الجمالية والزخرفية الخارجية والداخلية ، فنجد أنه فى الزخارف الخارجية تم الاعتماد على توزيع الفتحات المثلثة والمستطيلة وعمل تكوينات منها فى الواجهات الداخلية للغرف المطلة على الأسطح أو الأفنية الداخلية ، وعمل نهى زخرفى للواجهات الخارجية ، اضافة إلى عمل الشرفات فى أعلى الجدران .

أما الزخارف الداخلية فقد استخدم الجص للبياض ولتكسية الشرفات الداخلية ولعمل الزخارف الجمالية للفراغات الداخلية المهمة ، وذلك باقتباس بعض الأشكال من الزخارف الخارجية وعكسها فى الداخل بشكل مبسط على هيئة أحزمة أفقية علوية وسفلية ورأسية أحياناً . ويكثر استخدام النقش فى المجالس ، خاصة الكمار الذي يعلو مكان اعداد القهوة . كما يتم زخرفة السواكيف الخشبية والأبواب الداخلية بالألوان .

ومن الزخارف الرئيسية المستخدمة فى المصمك ما يلى

الأقواس الأفقية

وهى الأقواس المحمولة على الأعمدة التقليدية ذات التيجان البسيطة ، والتي تستخدم حول الأفنية الداخلية .

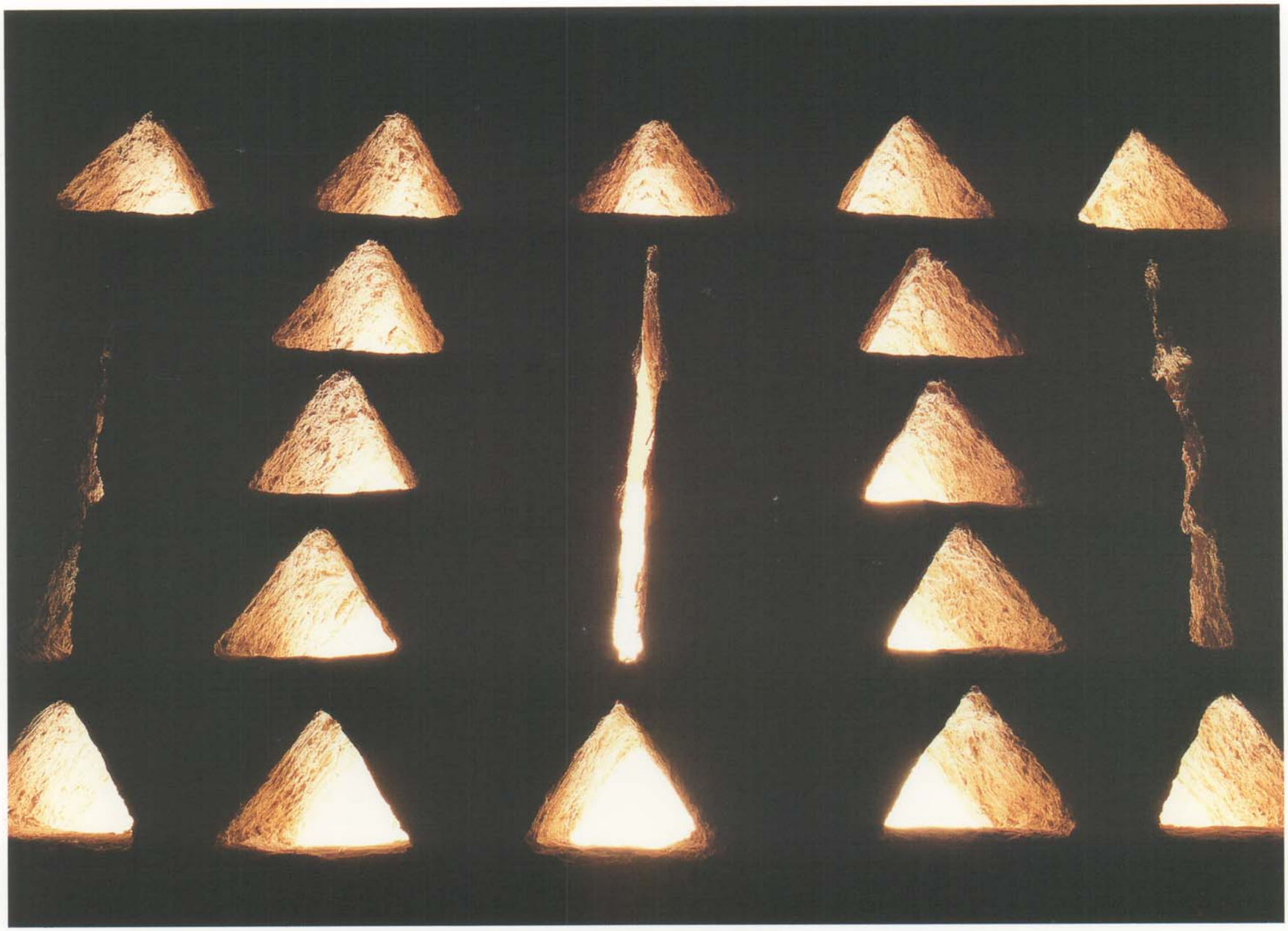

الشرفات

الشرفات الخارجية

توجد في المباني لاضفاء لمسة جمالية عليها مع البعد عن النهاية المبتورة للمباني ، وقد كانت البدايات الأولية لها ذات صبغة أمنية ، وبمرور الوقت تحولت إلى عنصر جمالي .

الشرفات الداخلية

استخدمت نفس الشرفات الخارجية داخلياً لتأمين الخصوصية حيث لا يمكن تمييز ما خلفها ، وقد تكسى بالجص لاضفاء نوع من الجمال عليها .

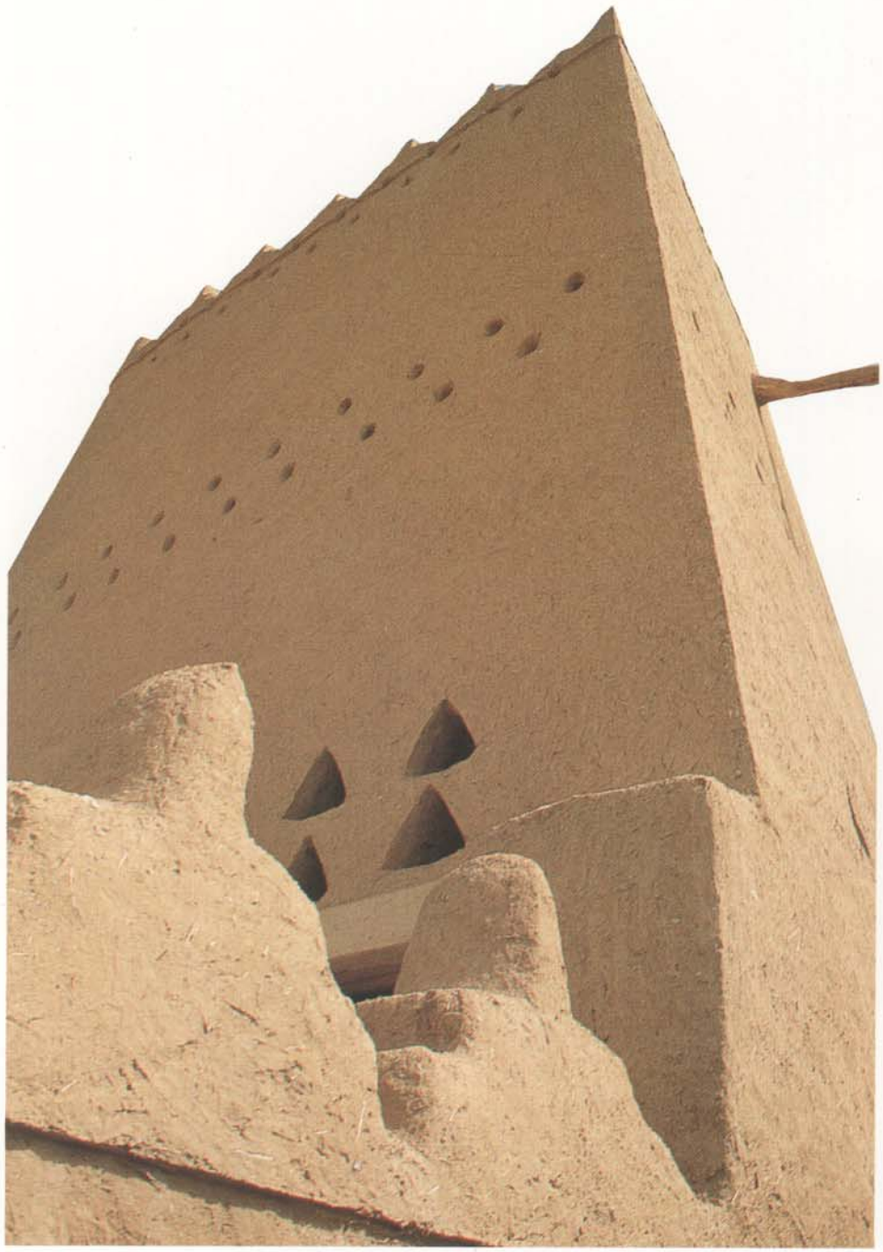

البياض والنقش

البياض بالجص

استخدم الجص في البياض للغرف المهمة إلى مستوى الأبواب ، ثم تطور إلى أن شمل الجدران بكاملها ، وامتد إلى بياض الشرفات القريبة من تلك الغرف كما هو في المجلس السفلي ، وقد استخدم في المصمك لعمل اطارات بيضاء حول الأبواب .

النقش على الجص

يعتبر النقش على الجص تطوراً لعملية البياض به، وكثر استخدام الزخرفة بالنقش في الأماكن المهمة كأماكن استقبال الضيوف والغرف الرئيسية، وكان مقتصراً في البداية على زخرفة ونقش الكمار، ثم تطور إلى عمل لوحات منقوشة بكامل واجهات تلك الغرف، وان كان مثل هذه الأعمال غير موجودة أصلاً في المصمك وانما استحدثت أثناء الترميم.

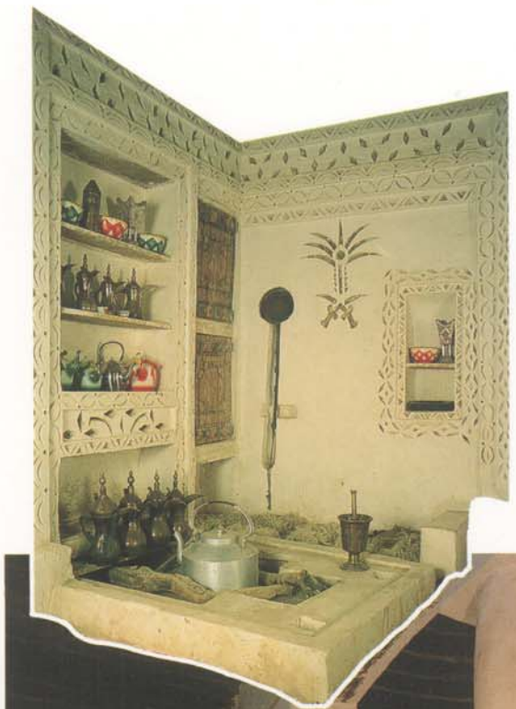

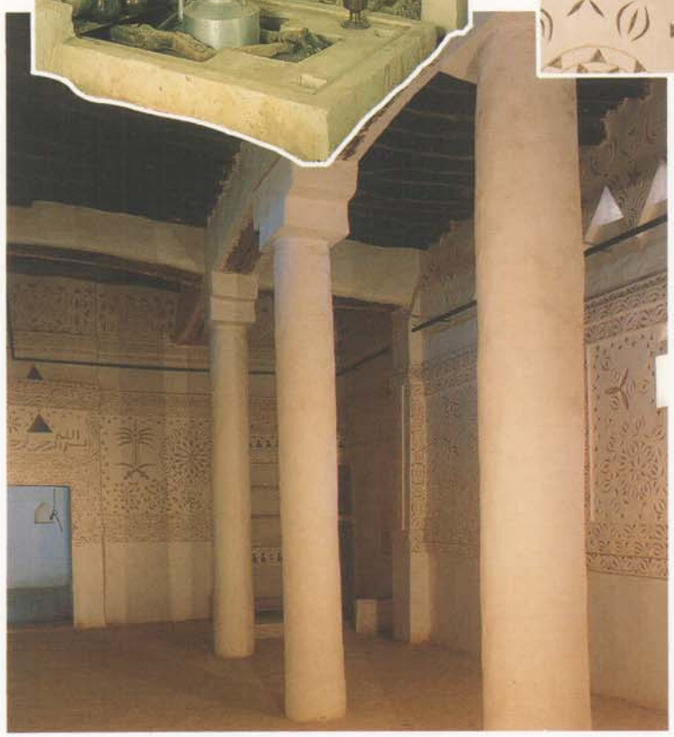

النقش على الخشب

بدأ النقش على الخشب باستخدام الألوان المتوفرة للأبواب والسواكيف ، وذلك امتداد لعمليات النقش على الجص . وفي المصمك العديد من الأبواب والسواكيف المنقوشة بالألوان المتعددة أو باللون الأسود فقط ، والتي أضيف بعضها أثناء الترميم .

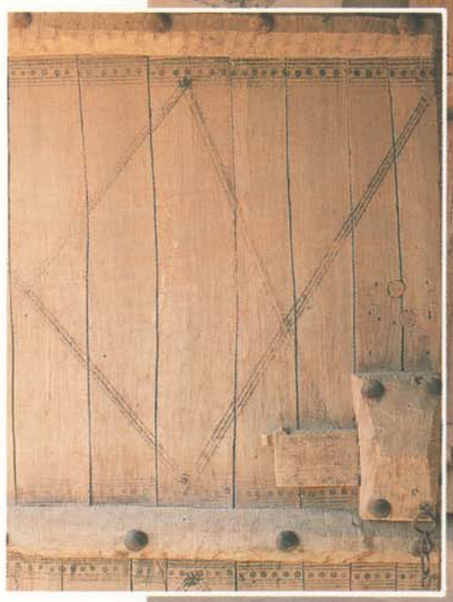

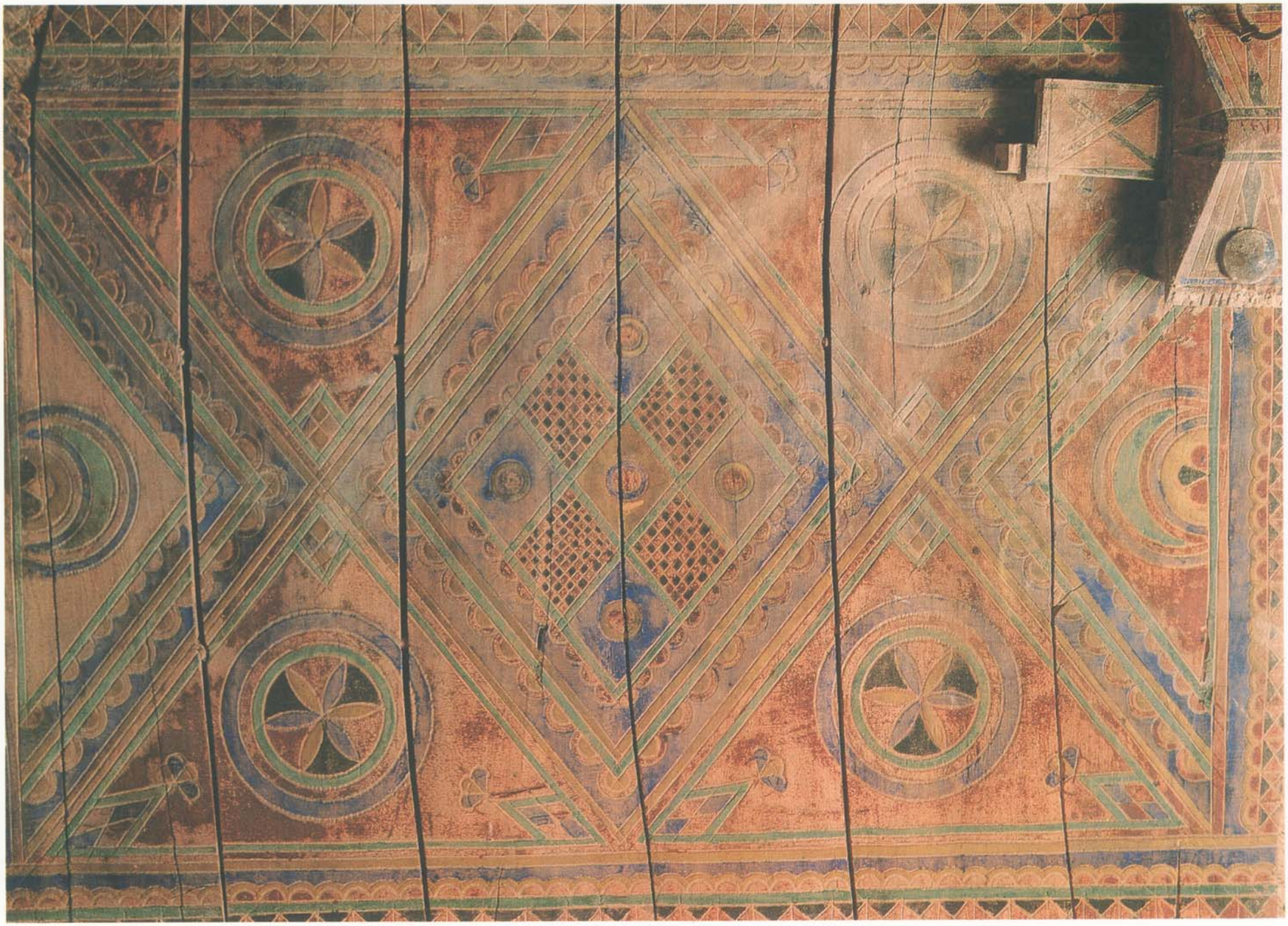

طرق وهواء الإنماء

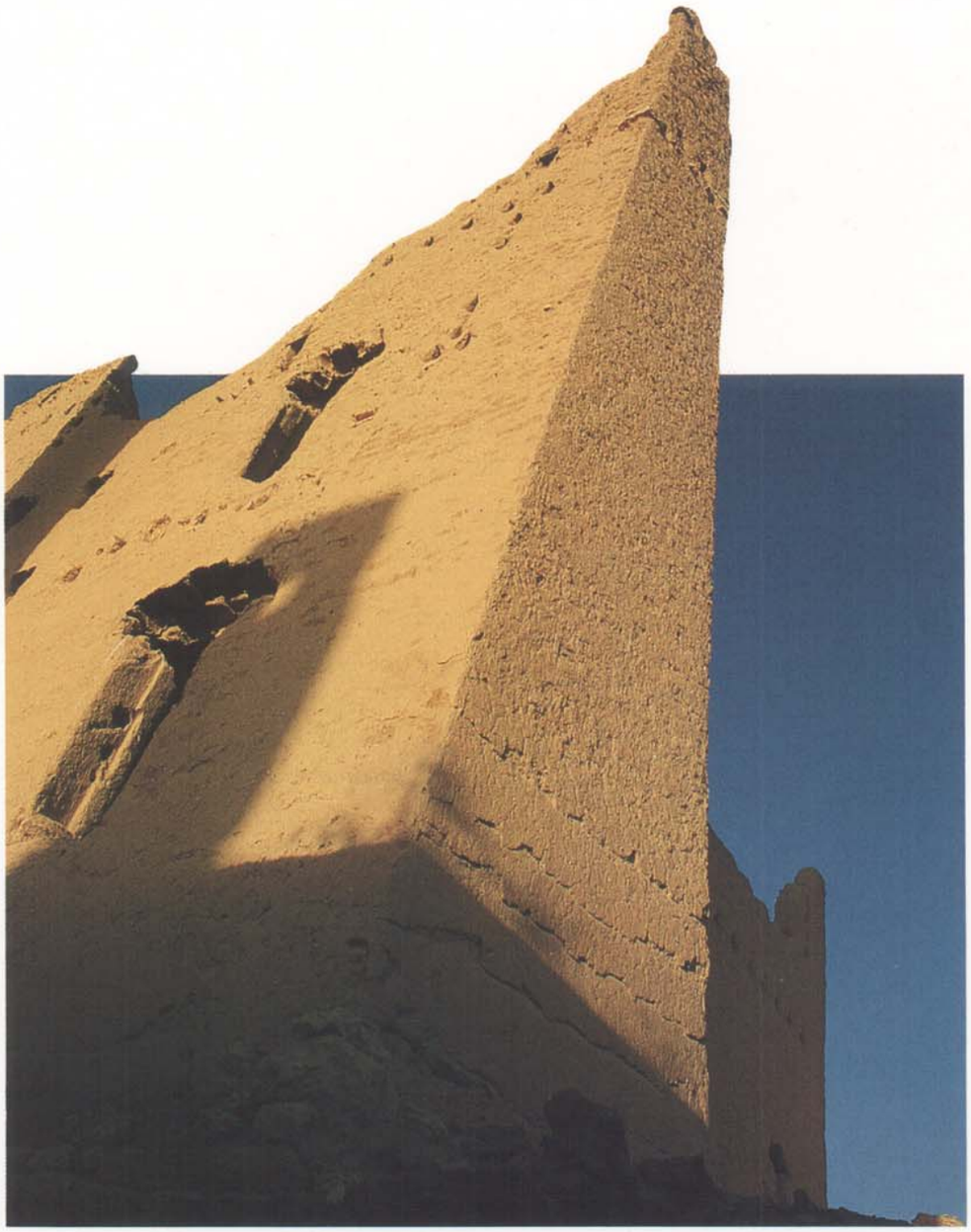

عرف الانسان البناء بمادة الطين منذ الأزل ، وقد شكلها وتعامل معها بأسلوب جعل منها أبسط مادة تحميه من تأثيرات العوامل الطبيعية . وكما تميزت منطقة نجد ببيئتها الصحراوية ، كذلك تميزت بطرق وأساليب البناء فيها والتى كان الطين مادتها الأولية ، حيث استخرجه السكان وشكلوه لينسجم مع طبيعة الصحراء القاسية ، وخرجوا بما يمكن اعتباره فى ذلك الوقت أمثل حل للتعايش مع هذه البيئة . ومن هذا جرى التشابه فى مواد وطرق البناء فى المنطقة إلا من بعض التباين فى العناصر الجمالية .

ومن محصلة تجارب البناء بالطين ، طوّر انسان المنطقة أسلوبين مختلفين أحدهما يتميز بالقوة والسماكة وهو البناء باستخدام العروق ، والآخر يتميز بالسرعة وخفة البناء وذلك باستخدام اللبن . ولكل من هذين الأسلوبين ما يميزه عن الآخر

هكذا يتم البناء في المنطقة ، وهكذا بنى " المصمك " أحد المعالم التراثية المهمة في المملكة ، وفي مدينة الرياض خاصة ، منذ ما يقارب المائة عام .

من خلال الاستعراض السابق للتشكيل الفراغي " للمصمك "،نتبين مدى نجاح التوزيع الفراغي للمصمك، وما وصل إليه فن البناء في ذلك الوقت، حيث تمثلت في المصمك كل خصائص الطراز المعماري السائد في المنطقة، وأساليب البناء، واستخدام الفراغ من حيث الميل إلى عمل الأروقة والأفنية والنوافذ الداخلية والشرفات، واغلاق الجدران من الخارج وعدم فتح الشبابيك فيها، وتأمين الخصوصية التامة للجزء المخصص للعائلة عن مجالس الرجال مراعاة للقيم الاسلامية. بل أن كل عنصر بالمصمك يمثل نموذجاً للعمارة المحلية، بدءاً من مساقطة الأفقية وتوزيع الفراغات فيها وواجهاته وأفنيته وأبوابه وفتحات الانارة والتهوية فيه، وانتهاء بمواد وطرق بنائه، والتي تعبر مجتمعه عن روعة العمارة حين تنبع من بيئتها الخالصة منسجمة مع العناصر المحيطة بها، كالمناخ ومواد البناء المحلية، محققة قدراً من الملاءمة والتوافق مع متطلبات سكان المنطقة، ومعطية للمصمك أهمية أكبر في هذا المجال.

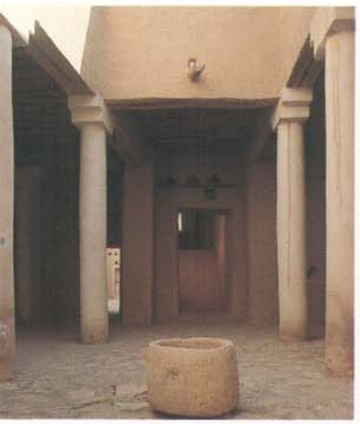
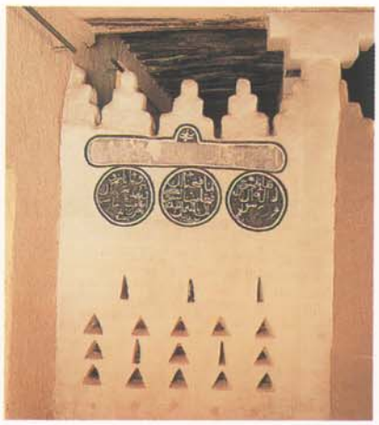
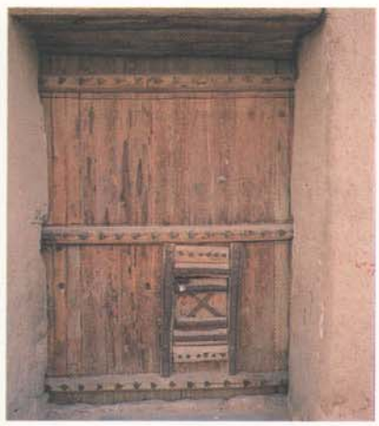

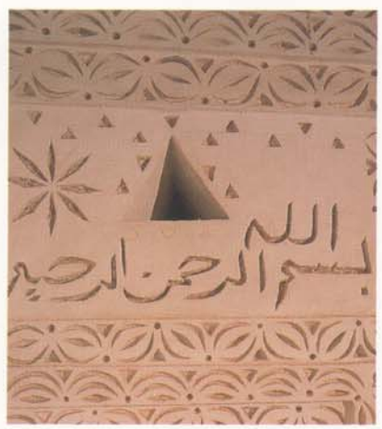

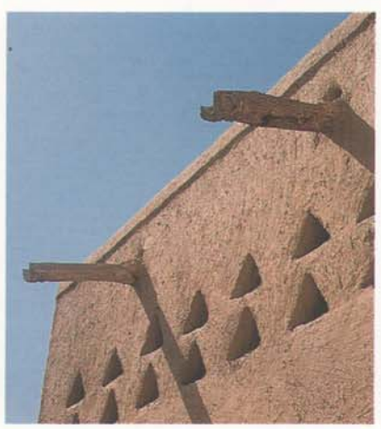

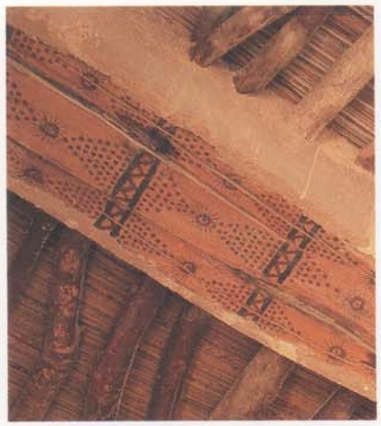

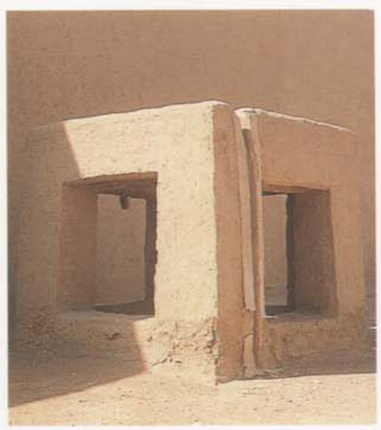
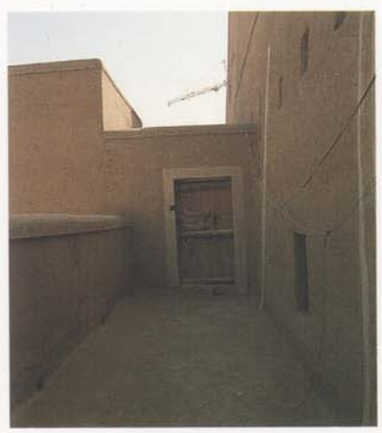

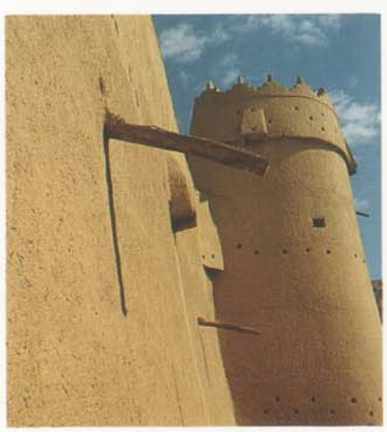

الملاحق

الملحق الاول

هوامش البحث التاريخي

أ ـ النصوص والروايات المدونة والمنقولة على ألسنة بعض المؤرخين المعاصرين التى استند إليها البحث :

١ ـ فى كتاب " تاريخ نجد وملحقاته " لمؤلفه أمين الريحانى (١٣٤٦هـ) ورد نص يقول " . . وكان فى الرياض قلعتان الواحدة ضمن الأخرى ، شيدهما ابن الرشيد وأقام فيهما تسعين من رجاله يرأسهم أمير اسمه عجلان ، وسمى المصمك باسم الحصن الداخلى وسور الرياض الحصن الخارجى " .

٢ ـ فى كتاب " البلاد العربية السعودية " لمؤلفه فؤاد حمزة (مطبعة أم القرى ١٣٥٥هـ) جاء على لسان الملك عبدالعزيز نص يقول " . . وكان ابن رشيد هدم سور البلد والمحل الذي يقيم فيه الأمير المنصوب من قبله يقع في قصر للامام عبدالله هدمه ابن الرشيد وأبقى فيه القلعة المسماة بالمسمك " .

٣ ـ فى كتاب " تذكرة أولى النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان " تأليف الشيخ عبدالله بن عبيد ورد : " كان ابن رشيد لما استولى عليها ـ يعنى الرياض ـ قطع كثيرا من نخيلها تشفياً وانتقاماً وهدم أسوارها كلها خشية أن تعصيه ثانية وتناوئه، واكتفى بالحصن الذي تسكنه الحامية. وقد وقف هذا الحصن فى وجه جلالة الملك ـ يقصد الملك عبدالعزيز ـ فى هجومه الأول ، ولولاه لتم له مرامه ولتمكن من بناء السور أثناء اشتغال خصمه بمحاربة ابن صباح ، ولكن الأمور مرهونة لأوقاتها ، وقد أفاده ذلك خبرة بهذا الحصن ، وكان ذلك الحصن قلعتان ـ هكذا فى أصل النص والصواب قلعتين ـ واحدة ضمن الأخرى شيدهما ابن رشيد وجعل فيهما تسعين حارساً ورئيسهم عجلان ، وكان عجلان هذا من مولدى أهل حائل وكبير الحامية من قبل ابن رشيد " .

٤ ـ ورد فى كتاب " معجزة فوق الرمال " لمؤلفه أحمد عسه (المطابع الأهلية اللبنانية ١٣٩١هـ) أن رجال ابن رشيد كانوا " قد بنوا حصناً يدعى المصمك داخل مدينة الرياض ، وكانت عادة عجلان عامل ابن الرشيد على الرياض أن يبيت ليله فى الحصن " .

٥ ـ جاء فى كتاب " معجم مدينة الرياض " لمؤلفه خالد بن أحمد السليمان (١٤٠٤هـ) نص يقول ان " الصحيح الذي لا جدال فيه هو أن الذي بنى المصمك هو ابن نعام لأوامر محمد بن عبدالله بن رشيد ، والدليل على ذلك ما رواه الأستاذ حسن حسن سليمان حيث قال: واستدعى عبدالعزيز بن متعب، بن نعام باني المصمك، وسأله عن تحصينه فقال: انه من تحصينه لا يستطيع أي عدو اقتحامه من الباب ولا يستطيع اقتحامع إلا الطيور الجارحة ". وتتكرر نفس الرواية بالصيغة ذاتها ، وأحياناً بقليل من الاختلاف الذي لا يمس جوهر المضمون ، فى كتب كثيرة منها كتاب " صقر الجزيرة " و " أحسن القصص " .

٦ ـ أجريت لقاءات شخصية مع نخبة من سكان منطقة الرياض والعارفين بتاريخها ، وقد أدلوا بهذه الآراء التى نثبتها هنا كما جاءت بأصواتهم :

١/٦ ـ قال الأستاذ / عبدالله بن محمد بن خميس: " سبق أن ذكرت أن باني المصمك هو الامام عبدالله بن فيصل بن تركي ، ولكن تبين لي فيما بعد أن الذي بناه هو ابن

رشيد ، واتضح لي هذا من عدة جوانب من أهمها المؤرخ ابن هذلول الذي قال إن الذي بناه هو ابن ضبعان في عهد ابن رشيد ، ويقول في معرض تعريفه بالمصمك : وهو القصر الذي بناه ابن رشيد في الرياض ووكّل بناءه إلى شخص يدعى ابن نعام ، فقام ببنائه على نحو ما كانت تبنى القصور المحكمة في نجد " .

٢/٦ ـ كما بيّن الأستاذ/عبدالرحمن الرويشد سبب اللبس والخلط الذي وقع فيه كثير من المؤرخين في تحديد هوية باني المصمك وتاريخ بنائه فقال : " وأنشأ ابن رشيد في الرياض قلعة حصينة اختار موقعها بعناية إذ جعلها على مرتفع من الأرض في أطراف المعمور الشرقي من الرياض حتى يحكم سيطرته على المدينة وما حولها . ويتفق أن يكون جزء من موقع تلك القلعة قد أنشيء على أنقاض قصر سابق يعرف " بالقصر الجديد " كان قد شيده الامام عبدالله بن فيصل بن تركي حاكم الرياض آنذاك عام ١٢٨٢هـ في حياة والده مقراً له " .

ويستطرد قائلاً : " ان الثابت لدى كل المؤرخين وكل من كتب عن أحداث مدينة الرياض تأكيدهم جميعاً أن ابن رشيد قد هدم سور المدينة وقضى على كل قصورها بما في ذلك مقر الامام عبدالله بن فيصل وذلك في عام ١٣٠٨هـ " .

ويضيف قوله " ان تشييد قلعة المصمك من قبل ابن رشيد في مدينة الرياض ليس ضرباً من ضروب البدع لأنه عادة جرى عليها الحكام القائمون من غير أهل البلد ، فبنى الامام عبدالعزيز بن محمد قلعة الغذوانة عند فتحه الرياض ، على مرتفع من مرتفعات الرياض ، لتكون مأوى للحامية ، كما بنى الأمير محمد ابن رشيد قلعة في (بريدة) عرفت فيما بعد بقصر " الجرده " وهو شبيه إلى حد كبير من حيث مساحته وتصميمه وشكله ببناء المصمك في الرياض " .

ويستطرد قائلاً : " وقد أبقى من القصر الأول جزءاً يحتوي على برج واحد يقع اليوم في داخل البناء ، إذ لا يعقل أن يكون هذا البناء الضخم جزءاً من قصر الامام عبدالله . والمعروف أن الجزء الداخلي للمصمك من الجنوب من بقايا ما تهدم من القصر الأول ، وهناك برج واحد قائم حتى اليوم يعرف " بالبُتَيّمة المربعة " تصغيراً " للبتيمة " ، لذا يرجح عندي أن البناء الموجود الآن والمسمى " بالمصمك " هو قلعة أو حصن أو ثغر بنى على أنقاض واحد أو مجموعة من قصور آل سعود " .

ويواصل حديثه قائلاً : " في عام ١٣٠٨هـ الموافق ١٨٩١م هب الامام عبدالرحمن الفيصل ، حاكم الرياض آنذاك ، لنجدة حلفائه أهل القصيم الذين خسروا وقعة المليداء لصالح قوات محمد بن رشيد . ولما تأكدت سيطرة ابن رشيد على الموقف ، فقد الامام عبدالرحمن كل أمل له في الموقف وفي استمرار حكمه ، فترك الرياض ، بل أنه غادر المنطقة كلها تاركاً الحكم لابن رشيد . وقد شجع الامام على ذلك أيضاً فشله وجنوده في حريملاء عند اصطدامه بابن رشيد آخر عام ١٣٠٨هـ وأول عام ١٣٠٩هـ . ومنذ ذلك الحين دخل ابن رشيد الرياض منتصراً فأمر بهدم أسوارها وقصور آل سعود التي كانت بداخلها عسى أن يقضي على كل أمل أو تعلق لزعمائها ، كما اتخذ من الرياض مركز مقاومة لصد أى محاولة من زعمائها السابقين للعودة إليها ، وأمر فيها امارة محمد بن فيصل ابن تركي تحت اشرافه، وأنشأ ابن رشيد في الرياض قلعة حصينة اختار موقعها بعناية .

ويختتم حديثه بنفي ما نقل على لسان الملك عبدالعزيز من قول بأن " المحل الذي يقيم فيه الأمير المنصوب من قبل ابن رشيد يقع في قصر الامام عبدالله الذي هدمه ابن رشيد وأبقى فيه القلعة المسماة بالمسمك " ، لأن الملك عبدالعزيز كان يشير إلى بناء المصمك وقيامه على أنقاض القصر .

٧ ـ ورد في كتاب " عقد الدرر " للشيخ ابراهيم بن عيسى (١٣٩٤هـ) قول المؤلف " . . وفي هذه السنة (١٢٨٢هـ) شرع الامام عبدالله بن فيصل المذكور في بناء قصره الجديد المعروف باسمه في بلدة الرياض " ، وقد علق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ (محقّق الكتاب) على هذا النص ، في الحاشية بقوله " ان هذا القصر هو قصر المصمك " .

٨ ـ في كتاب " مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ " للأستاذ حمد الجاسر (١٣٨٦هـ) ورد نص يقول " . . وقد استقام الأمر للامام فيصل حتى توفى في ٢١ رجب ١٢٨٢هـ فخلفه ابنه الامام عبدالله ، وفي السنة الأولى من عهده أمر ببناء الحصن المعروف الآن باسم المصمك وحل محل قصر دهام الذي كان مقراً للحكم ما يقارب ٨٠ عاماً " .

٩ ـ ورد في كتاب " العربية السعودية " لعبدالله فيلبي نص يقول " ان أول عمل قام به عبدالله بعد اعتلائه العرش كان بناء قصر محصن له وهو المعروف الآن باسم المصمك ، ويقع إلى حد ما إلى الشمال الشرقي من القصر الأصلي لتركي " .

ب ـ النصوص والروايات التي تبين استخدام المصمك بعد اقتحامه والاستيلاء عليه من قبل الملك عبدالعزيز عند فتحه للرياض (١٣١٩هـ) :

١ ـ ورد على لسان الأستاذ/عبدالرحمن الرويشد أن ذلك الحصن " استخدم كمستودع للذخيرة والمؤن لفترة لا تزيد عن السنتين بعد دخول عبدالعزيز الرياض ، ثم استخدم بعد ذلك لأغراض شتى لحبس الخارجين عن السلطة والمناوئين لنظام الحكم ابان توحيد الجزيرة العربية ، ثم ترك ولم يسكن الملك عبدالعزيز فيه قط كمقر للحكم ، بل أبقاه للذكرى " .

٢ ـ ورد في كتاب " معجم اليمامة " للأستاذ عبدالله بن محمد بن خميس (١٣٩٨هـ) انه " في مطلع حكم الملك عبدالعزيز واستيلائه على منطقة الوشم جعل مساعد بن سويلم أميراً على هذه المنطقة ومركزه شقراء بعد أن قتل الصويغ أمير ثرمداء من قبل ابن رشيد وأسر أمير ثرمداء مشاري العنقري وأرسله إلى الرياض وسجنه في المصمك " .

٣ ـ جاء في كتاب " اسود آل سعود وتجربتي في الحياة " لابراهيم بن خميّس ، على لسان مؤلفه ، في تعليقه على هامش قصة سجن العنقري وفي سياق الحديث عن المصمك بأنه " القلعة التي افتتحها الملك عبدالعزيز في معركة سطوة الرياض (ذبحة عجلان) ، وقد تحولت القلعة بعدها إلى سجن ثم إلى أثر تاريخي " .

٤ ـ قال مؤلف كتاب " العربية السعودية " لعبدالله فيلبي في معرض حديثه عن سجن قادة الحريق بعد ثورة قاموا بها هناك : " ان هؤلاء القادة أرسلوا إلى الرياض بعد استسلامهم حيث سجنوا في المصمك لمدة عامين " .
كما يذكر ، في موضع آخر ، أن سلطان بن بجاد بعد فراره من معركة السبلة التي وقعت عام ١٣٤٧هـ واستسلامه ، " سجن في سجن الرياض ومثله ، فيما بعد ، فيصل الدويش " .

الملحق الثاني

معاني المصطلحات التقليدية

الأروقة : هي فراغ شبه مفتوح ، تحيط بالفناء الداخلي "بطن الحوي "، وتفتح عليه الغرف وتعرف بالمصابيح.

بيت الدرج : الفراغ المحصور أسفل الدرج.

الحوش : المكان المخصص للزراعة ولتربية الماشية، ويوجد به أحياناً بئر للماء.

الدكة : منصة مرتفعة نسبياً يجلس عليها.

الديوانية : المجلس الرئيسي اليومي للزوار في الدور الأرضي.

الروشن : مجلس الضيوف في الدور العلوي.

السواكيف : الجسور الخشبية التي يُحمّل فوقها السقف.

الفناء الداخلي: بطن الحوي أو البيت، وهو الفراغ المحاط بالأروقة والغرف.

الكمار : فراغ ذو أرفف وزخارف ونقوش جصية يعلو الوجار، تحفظ فيه أدوات وأواني القهوة والشاي، ويعمل في أماكن الاستقبال.

الوجار : مكان اعداد القهوة للضيوف، أسفل الكمار.

المرازيم : قنوات تصريف مياه المطر من الأسطح.

الملحق الثالث

المراجع

- الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى النجدي الحنبلي: عقد الدرر، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ، ١٣٩٤هـ-ص ٤٨.
- ابراهيم بن عبدالرحمن بن خميس: اسود آل سعود وتجربتي في الحياة، دار النجاح ببيروت ١٩٨٢م-ص ٢٥٥.
- ابراهيم بن عبيد العبدالمحسن: تنكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان، ج١، ط١، مطابع مؤسسة النور، الرياض، ص ٣٢٧.
- أحمد عبدالغفور عطار: صقر الجزيرة العربية، ج١، مكة المكرمة، ص ٢٥٥.
- أحمد عسه: معجزة فوق الرمال، المطابع الأهلية اللبنانية، ط٣ ١٩٧١م - ١٣٩١هـ - ص ٤٩.
- أمين الريحاني: تاريخ نجد وملحقاته، منشورات الفاخرية بالرياض بالاشتراك مع دار الكاتب العربي في بيروت - ص ١٢٣.
- حمد الجاسر: مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٣٨٦هـ - ص ١٠٨.
- خالد محمد أحمد السمان: معجم مدينة الرياض، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، ١٤٠٤هـ - ص ٢٢٣.
- خالد محمد الفرج: أحسن القصص، الملحمة الأولى - ص ١٩.
- المهندس / سامي أحمد الجبير - الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض: الطابع المعماري لمدينة الرياض، تحت الطبع.
- عبدالرحمن الرويشد: بناء حصن المصمك في الرياض، رسالة موثقة لدى الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض - ١٤٠٩هـ.
- دكتور / عبدالرحمن السبيت وآخرون: المصمك رمز من التراث، من مطبوعات المهرجان الوطني للتراث والثقافة - مطابع الحرس الوطني.
- عبدالله بن محمد بن خميس: تسجيل صوتي لمقابلة شخصية في ١٤٠٩/٩/٢٢هـ، الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض.
- عبدالله بن محمد خميس: معجم اليمامة، ج ٢ - ص ٥٩.
- عبدالله فيلبي: العربية السعودية، الطبعة الثانية، لندن، صفحة ٢١٨.
- فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، مطبعة أم القرى، ١٣٥٥هـ - ص ٢٠.
- وليم بلجريف: حكاية رحلة في وسط شرق الجزيرة العربية خلال عامي ١٨٦٣/١٨٦٢م، لندن ١٨٦٥م.